٢٧

روايات احلام

بوابة الدموع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بوابة الدموع

مكتبة رواية

www.riwaya.ga

قناة روايات عبير على تيليجرام

https://t.me/aabiirr

بوابة الدموع

كارول مورتيمر

احلام قديمة (27)

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الملخص

من قلب العتمة تولد أحيانا شمعة تبدد بنورها حجب اليأس .

سابينا استسلمت للحزن عندما علمت بموت أختها وزوجها في حادث طائرة ثم عاد الفرح يهدهد قلبها المثقل بالأسى لخبر نجاة ابن أختها.

لكن باتريك كيندل يرفض التخلي عن الطفل بأي ثمن وكل محاولاتها لاحتضانه اصطدمت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بهذا الرجل المتعجرف مع نفوذه الواسع الثراء واحتقاره لها .

فهل يمكن الحل الوحيد هو بالزواج من باتريك ؟ ألن تكون بهذا كمن يهرب من حرارة الجمر إلي لهيب النار ؟

الفصل الأول : ما العمل؟

عادت سابينا بيرنت إلي غرفة ملابسها مرهقة ... فتحت الراديو فانبعث منه موسيقى هادئة أراحت أعصابها , أثناء تبديلها ملابس التمثيل بملابسها الخاصة المؤلفة من جينز وقميص برتقالي حريري .

سابينا فتاة طويلة ممشوقة القوام , مسترسل شعرها .

مشطته حتى أحست به يتموج نحاسيا فوق كتفيها بحريرية طبيعية.

دخل إلي الغرفة طوني كريغ بعد دقة خفيفة على الباب :

لقد كنت رائعة اليوم !

قبلها على خدها , فبادلته القبلة وهي سعيدة برؤيته . طوني يلعب دور شقيق زوجها في المسلسل التي تمثله للتلفزيون وهما يلتقيان كل يوم خارج أوقات العمل منذ أربعة أشهر . إنه طويل , أشقر, له جسد

رشيق كجسد لاعب كرة سابق ...وكان محط أنظار النساء ومثالهن .

ابتسمت سابينا له وذراعيها حول عنقه .

ما رأيك بالذهاب إلي منزل الشاطئ الليلة ؟

جيد ما رأيك بالشواء عشاء على الشاطئ ؟

رائع .

استدارت تلقطت حقيبتها ... لكن يدها تسمرت عند سماعها المذيع في الراديو يقول : " ... وعرف أن كيم برنت وزوجها تشالز كيندل كانا في الطائرة التي تحطمت الليلة

الماضية وهي في طريقها من باريس إلي لوس أنجلس ... وهناك تأكيدات أن ما من احد نجا من هذه الحادثة التي يعتقد أنها ناجمة عن عطل في المحركات "

بالنسبة لسابينا ...العالم توقف...كيم وتشالز ...! لا يمكن ... لا بد أن هناك غلطة ... سابينا هي من أصرت على أن تلد شقيقتها الطفل في أميركا ...فكيم في شهرها السابع الآن يا إلهي ... الطفل كذالك ... لا ...! لم

تدرك أنها تلفظت بآخر كلماتها بصوت مرتفع

إلي أن تقدم طوني ليمسكها :

تماسكي يا حبيبتي

أجلسها في أحد المقاعد الوثيرة في الغرفة .

طونى ..هل سمعت ..هل قال المذيع ..

فرد عليها بأسي وكل اهتمامه منصب علي

وجهها الذي شحب حتي الابيضاض .

اجل ...لقد سمعت سابينا .

ياإلهي !...كيم..!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شهقت بقوة فصدمتها الشديدة وقعت علي نفسها وقعاً كبيراً جعلها تعجز عن البكاء فقد خدر الرعب إحساسها ..شقيقتها ..!هل هذا ممكن !..لماذا تخدع نفسها هل هناك أي نجاة من كوارث كهذه في الماضي ؟...والدتها..يجب أن تخبرها .!

طمأنها طوني بعد أن تلفظت ثانية دون وعي بما تفكر فيه:

سنتصل بهما بعد قليل ...

وركع أمامها يواسيها في المصاب.

كيم ...شقيقتها التي تكبرها بعامين ذات الشعر الأشقر النحاسي الشبيه بشعرها والطبع الناري المماثل ..لا يمكن أن تموت !تحطم الطائرات لا يحدث سوي في الأفلام ...لأناس آخرين ..وعائلات أخري ...لا لزوجين شابين سعيدين مرحين مثل كيم وتشارلز ..أ, لطفل لم يولد بعد!

كانت كيم أيضاَ ممثلة ناجحة مثلها حتي عامين مضيا عندما تزوجت من تشارلز كيندل ...رجل الأعمال البريطاني الذي وقع في

حبها عندما التقيا في باريس ...الزواج كان بعيداً عن الرسميات ...يا إلهي !يا للسماء ها قد بدأت تتحدث في صيغة الماضي ..متقبلة واقع موهما ..

آل كيندل من الطبقة الارستقراطية في بريطانيا ..وهذا أمر جهدت حماتها أن تفهمها إياه ويمكن لسابينا أن تتصور ردة فعل كيم علي هذا وقد استشفت من خلال مكالمتها لها أنها بعيدة عن السعادة تتوق إلي عملها وحريتها التي طالما تمتعت بها في أمريكا فقد

وضع آل كيندل قيوداً علي تصرفاتها وحياتها الاجتماعية وبدا ان تشارلز سعيد بما فرض علي زوجته من قيود

حققت غايتها بعد أن وجدت صعوبة في إقناع ليزا كيندل لكن تشارلز أخيراً وافق علي السفر فاستقلا الطائرة نحو حتفهما .

شهقت سابينا فجأة :

يجب أن اتصل بأهلي ... فلو علموا بالطريقة التي علمت بها ل...

ربما سمعا الخبر الآن .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إذا يجب أن أصل إلي المنزل حالاً...

سأوصلك...

إلي منزل أهلي ..سحتاجان إلي.

مع ذالك سأوصلك .

لكن لديك تصوير هذا المساء .جول تذمر منذ قليل لأننا تأخرنا على موعد التنفيذ . رغم كارثتها كانت تفكر منطقيا . فهز طوني كتفيه.

وماذا في هذا ؟ ....يمكن أن ننهي التصوير أواسط أيلول بدلاً من بداية آب . فشبكة

التلفزيون لن تعترض ...ليس وهي تدفع هذا الأجر لنا ...أنا أعرف تماماً أننا لنا شهرة واسعة في هذا المسلسل في العالم كله ...يا للجحيم ...لماذا أتحدث هكذا ؟...سأذهب وأخبر جول أننا ذاهبان .

وقفت سابينا في صمت تنتظره .طوني مخطئ لو ظن أنها لا تهتم برأي الجمهور بها وبالمسلسل ...منذ شهرين اتصلت كيم بها وهي تبكي وتتذمر من فسق وقذارة حماتها ...إذ يبدو أن شقيقة ليزا قد اغتبطت جداً

لأن شقيقة زوجة ابن شقيقتها تظهر في دور لئيم متهتك وأخذت تستغل الفرص لتعلق علي المسلسل ودور شقيقة كيم فيه ...في العادة كيم لا تحركها مثل هذه التعليقات لكن الحمل أثر علي أعصابها ..

وصل جول هو نفسه إلي الغرفة ترتسم علي وجهه المرح عادة ملامح الحزن فأمسك بذراعي سابينا وتمتم :

ياإلهي سابينا ...لقد أخبرني طوني للتو ,لقد كان خبراً أشبه بالجحيم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تستجب لأسفه لأنها ما زالت ملبدة الحس

لمنه تابع بصوت منخفض :

كنت متعلقاً جداً بكيم ...عملنا معاً عدو

سنوات قبل أن تتزوج ذلك المتأنق

..سنفتقدها جميعاً .

ابتلعت سابينا ريقها بصعوبة ..فقد بدأ

الغثيان يتصاعد من داخلها وتلاشى الخدر

من أعصابها عند سماعها كلام جول الذي

تحدث عن شقيقتها وكأنها لم تعد موجودة

...تمتمت:

أرجوك أن تعذرني ...

تركته راكضة إلي غرفة الاغتسال تجتاحها موجات الغثيان بعد أن صدمتها حقيقة الموقف المرعبة .

لحق جول بها ليساعدها علي غسل وجهها بالماء البارد :

لا بأس عليك ...هل أنت أحسن الآن ؟

أجل ....

يجب أن تتماسك ...لأجل والديها ...والدها

المحامي القوي ...امها ربة البيت الممتازة

...سينهاران أمام الصدمة

قالت لطوني وهما في السيارة :

يجب أن أحضر بعض الأشياء من شقتي .

بالتأكيد .

وعادت إلي صمت أفكارها .

كل ما يمر بها الآن هو حلم ...حلم رهيب

...لا يمكنها أن تصدقه حتي يقول لها أحد ما

...إنه صحيح ...أحد ما يعرف الحقيقة

..حقاً ..فربما يكون الخبر مخطئاً ويما كيم
وتشارلز لم يصعدا إلي الطائرة ...ربما شئ ما
منعهما عن ركوبها ....ربما...

كانت تمر هذه الأفكار في خاطرها وهي
تحضر حقيبة خفيفة لقضاء أيام مع والديها
إلا أن رنين الهاتف قطعها عليها فأسرعت
تجيب خافقة القلب وسمعت صوت امها
القوي الثابت المشبع بتصميم شديد لم يكن
من طبعها عادة بل من طبع والدها القوي
سألته بخشونة :

هل سمعت الخبر سابينا ؟

أجل سمعت لتوي من التلفزيون مرة أخري

فتنهدت الأم :

أتساءل ما إذا كانوا يعرفون مدي وحشية إذاعة خبر مهذا لقد اتصل بنا باتريك كيندل منذ بعض الوقت ووفر علينا سماع الخبر بتلك الطريقة القاسية باتريك كيندل ...الرجل الطويل الأسود الشعر والمتحفظ الارستقراطي التقاسيم الثاقب العينين ،الرياضي والنحيل الجسد ..برز فجأة أمام عيني سابينا إنه شقيق

تشارلز البالغ من ا لعمر الخامسة والثلاثين عاماً الذي يدير أعمال عائلته كالدولاب السريع لم يكن متزوجاً لأن لا وقت لديه للأمور الإنسانية ,التقته سابينا مرة واحدة يوم زواج سقيقة وشقيقتها منذ سنتين ...ولم يعجبها هو ولا عجرفته وتكبره .

قطعت أمها حبل أفكارها :

كنت سأتصل بك في الأستديو لكنني كنت مشغولة بانهيار أبيك فهو من أجاب علي

اتصال السيد كيندل وقتذاك بدا علي ما برام

...ثم ...أصابته نوبة قلبية !

هذا أسوأ من الكابوس ..العالم كله غدا مجنوناً

...

هل ....هو ..

في المستشفي ...لكن حالته مستقرة الأطباء

واثقون أنه سيكون بخير..

أنا قادمة إليك..

لا سابينا !لقد قلت لباتريك أننا قادمان

إليك ..

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا قبل انهيار والدك طبعاً قال إنه سيتصل ثانية عندما يسمع المزيد عم كيم وتشارلز .
ولكنني أفضل الذهاب إليكم ...أما السيد كيندل فسيعرف أنني عندكم عندما لا يتلقي رداً من شقتي .
ولكنني لسن في المنزل سابينا ,,,سأبقيي في المستشفي مع والدك .
أواثقة أن لا خطر عليه.؟

اكد الأطباء لي هذا ولكنني سألازمه ..أرجوك ابقي في شقتك بانتظار اتصال السيد كيندل أكره ان تفوتنا مخابرته .

امها علي حق ...لكنها أحست برغبة في رؤية والدها .لكن لو اتصل باتريك كيندل وهي غير موجودة ...؟

بعد أن وضعت سماعة الهاتف ..لم تيستطع التحرك فقد أحسن أ، والدتها متفائلة بعض الشئ ..كيم وزوجها والطفل الذي لم يرالنور

ماتوا ومهما قللت من أهمية النوبة القلبية فوالدها مريض حقا...

أظن أنني سمعت رنين الهاتف ..

شهقت ببؤس وهي تلتفت لترمي نفسها بين ذراعي طونى .

فراحت تقص عليه الخبر شاهقة وكأن سداً ضخماً سينفجر فيها ثم لما وجدت الراحة علي كتفه أعادها إلي الصالون ضاماً جسدها إلي صدره فالتصقت به أكثر ودموعها تبلل قميصه :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا أصدق أنها ماتت ...لذا لا أستغرب صدمة والدي تلك.

أعلم حبيبتي ..أعلم.

مسحت عينيها بقميصه :

أنت لم تعرفها طوني ...أليس كذلك؟

رأيت أفلامها ... كانت جميلة ...تشبهك جداً.

الجميع أحبها طوني .... كانت مرحة مفعمة بالحياة ...!

تكسر صوتها عند الكلمة الأخيرة ...أحبها الجميع إلا عائلة كيندل ... كان لكيم وتشارلز جناح صغير في منزل العائلة ..في حين كانت أرملة ليزا كيندل وابنها الأعزب يحتلان جناحاً أخر بينما ابنتها المتزوجة روزي تسكن علي بعد عدة كيلومترات مع زوجها وابنتيها ...ليزا و روزي كيندل أظهرتا منذ البداية عدم موافقتهما علي زواج تشارلز من ممثلة أميركية أما باتريك العظيم فقد أظهر قلة اكتراثه أما تشارلز فلم يكن مثل بقية عائلته

...لكنه كان قد قاوم محاولات كيم كلها
لاقناعه باسفر إلي أميركا والعيش هناك
متذرعاً باضطراره إلي البقاء للعمل في مؤسسة
العائلة كذلك أصر علي عدم السكن بعيداً
عن منزل العائلة الكبير .

استجمعت سابينا رباطة جأشها بصعوبة
...فهي ليست ممن يسمح للعذاب العاطفي
بأن يوصلها إلي الحد الهستيري ...التفتت إلي
طوني قائلة بهدوء وحزم :

يجب أن تعود الآن طوني ...سأكون علي ما

يرام ثم أن عليك تصوير البرنامج .

لكن جول طلب مني ملازمتك .

لكنني لست بحاجة لمن يلازمني !

كانت في أعماقها شاكرة اهتمام طوني

اللطيف بها ...لكن ما من حديث قد

يساعدها علي تخطي الساعات القليلة

القادمة بانتظار مخابرة باتريك كيندل لذا

رددت الكلام ذاته وهو يحاول الاحتجاج:

حقاً طوني ..أِنشد بعد الوقت أقضيه وحدي لأتقبل ...تقضيه وحدك ؟حسناً ...إذا احتجتني في أي وقت ليلاً أ, نهاراً ,,,اتصلي بي ...هه؟

هز رأسه متفهماً ...فهو نفسه قد خسر زوجته الشابة في حادث سيارة منذ أربع سنوات ولم يكن قد مضي علي زواجهما سنة ...

قدرت له عدم بحثه الأمر معهما فظفرت عيناها بالدموع :

شكراً لك يداي مغلولتان حتي أتلقي مخابرة باتريك كيندل لا أستطيع السفر إلي انكلترا حيث سقطت الطائرة ولا أستطيع الذهاب لرؤية أبي .

انحني طوني يلثم خدها بخفة :

أنا واثق أن المخابرة لن نتأخر .

لكن الأمسية مرت ...ثم ساعات الليل وباتريك كيندل لم يتصل ... كانت خلالها سابينا تذرع الغرفة بعصبية ولما يئست أخيراً اتصلت تريد تقصي بعض امعلومات ...

بعد الجدال قلا:

السيد كيندل ليس في المنزل .

ليس في المنزل ؟

لا يا آنسة ...لقد غادر منذ عدة ساعات .

إلي أين ؟

لست أدري آنسة بيرنت ...فهو لا يخبرني عن تحركاته .

فصاحت بها :

كان عليه في مثل هذه الظروف أن يخبرك !

وصفقت السماعة مكانها ...تباً لهذا الرجل!أين اختفي دون أحداً عن مكان وجوده ؟ لكنه وعد أن يتصل ...امتنعت عن لذهاب إلي المستشفي للاطمئنان عن أبيها لئلا تفوتها المخابرة ...إنها تعتمد علي ما يملكه من سلطة لتعرف ما حدث ....كانت قد اتصلت بشركة الطيران حيث تلقت منها معلومات تفيد أنهم لا يستطيعون اعطائها معلومات أكيدة لأنهم لا يعرفون ما يجري حالياً .

بعد اتصالها بالمستشفي للاطمئنان علي أبيها وامها اتصلت بالمطار وحجزت مقعداً إلي لندن في الصباح ..فلا فائدة من جلوسها هنا تنتظر .

غي الصباح وضبت حقيبة صغيرة لها ثم تناولت فطورها واتصلت سيارة أجرة ..عندما رن جرس الباب ظنت أنه السائق لمنها فوجئت بسيل من الأسئلة ووميض آلات التصوير :

كيف تشعرين حيال موت شقيقتك سابينا ؟

هل ستجري الجنازة هنا أم في انكلترا ؟

هل ستدفن كيم وزوجها معاً ؟

أجفلها البحر الهائج من الوجوه خارج باب شقتها فالكاميرات والميكروفونات كانت تندفع في وجهها وكان بعضها للتلفزيون .

ابتلعت سابينا ريقها بصعوبة ...غير قادرة علي استيعاب مثل هذا التكالب علي معرفة خصوصيات حزنها أي نوع من البشر هؤلاء ليسألوها مثل هذه الأسئلة؟

هذا يكفي !

صوت متسلط تعالي فوق صياح الجميع أذهل أعضاء فريق الأعلام فصمت الجميع .

____

____

____

____

كان الرجل يشق بين الحشد ليقف قرب سابينا وقد تراجع الجميع دون أن يدفعهم أن يفرق حشدهم وكأن له قوة تفوق قوتهم

إنه باتريك كيندل ...دون ريب ...نعم هي التقته مرة لكن ذكراه مازالت راسخة في ذهنها لسبب تجهله ربما لأنها لم تقابل رجلاً مثله من قبل .

أمسك بذراعها بشدة وجذبها إلي الداخل :

فلنتجه إلي الداخل .

سابينا كانت سعيدة بإذعانها له ...لمنها أخذت تسأل نفسها لناذا أجبر علي المجئ إلي منزلها بدل الاتصال هاتفياً الإ اذا كان قد شعر بتأنيب الضمير بعد انهيار أبيها لكنها

تشتطيع الآن أن تخبره أن وقت الانهيار بالنسبة لها قد مر...فقد أمضت تلك الساعات تفكر بهدوء أثناء انتظار مكالمته.

تعالت همهمات المراسلين "من هذا بحق الجحيم " "من أين أتي "وقال مراسلة التلفزيون الأنيقة :رجل له متفان كهاتين وجسد كهذا لا يهمني من أين أتي بل ما يهمني أنه هنا ...

دفعت المايكروفون إليه تسأل :

سيدي هل أنت صديق الآنسة برنت ؟

وتمتم صحفي :

كنت أظنها صديقة طوني كريغ ..

اشتدت قبضة باتريك كيندل علي ذراع سابينا ومد يده الأخري ليدفع بالمايكروفون القريب من وجهه مقطباً تقطيبة

أظن أن الآنسة بيرنت قد تلقت ما يكفي اليوم من حشر أنوفكم في خصوصياتها ...لو سمحت سيدتي ...سيدي ...

وهز رأسه محيياُ يصرف الجميع فصاح أحدهم :

هاي ..الرجل الانكليزي ...

فنظر إليه باتريك كيندل ساخرا :

حاسة الإستدلال عندك رائعة .

تابع دفع سابينا إلي داخل الشقة مقفلا الباب في وجه المتسائلين متمتما :

إنهم كالصقور المتوحشة !

ثم ضاقت عيناه عندما شاهد حقائبها قرب الكرسي ..

هل أنت ذاهبة إلي مكان ما ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنا ....لقد .... يئست من مكالمتك فحجزت على أول طائرة إلي لندن وذالك بعد ساعتين !

فهز رأسه معترفا بالواقع :

هل صحيح أن والدك انهار ؟

سرعان ما زال نفورها منه فأمها قالت لها إن الدها انهار بعد مكالمة باتريك كيندل ...فكيف عرف ؟

صحيح ... ليس هناك خطر لكن نوبته كانت قوية ... أترى كان يحب الصبيان ...

لم يرزق بهم ... كان يأمل أن ... آسفة

...ربما لا تحب سماع هذا كله .

لم أكن أعلم أنه انهار ...لا بد أنها كانت

صدمة شديدة الوطء .

هذا ما أكد شكوكها ومع ذالك بدا وكأنه لا

علاقة له بالأمر فابتلعت ريقها بصعوبة تسأله

:

ذكروا في نشرة الأخبار أنه لم ينجو أحد ؟

–أخطأوا

فقفز الأمل إلي قلبها :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صحيح ؟

– أجل ...هذا ما يظهر ... اجلسي من فضلك .

– لكنني .. على ما يرام كما ...أنا...

– قلت لك اجلسي سابينا يبدو أن هناك ستة ناجين إصابتهم خطيرة ...لكنهم أحياء .

– وكيم ..؟

– لم تكن هي أ, اتشارلز منهم .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حتى الآن لم يظهر على هذا الرجل أية مشاعر ؟ فاختنقت أنفاسها بعد أن وعت كلماته .

– لقد ....ماتا ؟

– أجل ..

فصاحت :

– يا إلهي !..

لم تكن تعرف مدى الأمل الذي كان في قلبها ومدى شوقها إلي أن تكون الأخبار كاذبة وها

هي أخيرا يتلاشى أملها إذ لا تشك أبدا في أن باتريك يعرف ما يقول :

قاطع بكائها بصوت خفيض مضطرب :

لكن ابنهما حي ... وبصحة جيدة .

رفعت سبينا وجهها المبتل دموعا وابتلعت ريقها :

– ....ابنهما ؟

فهز رأسه :

– كيم كانت من الناجين وقد بقيت على قيد الحياة ساعتين بعد تحطم الطائرة كانت مصابة

بشكل رهيب ولكنها استطاعت وضع طفلها

...الذي أسمته ... فيليب .

صرخت وهي تضحك وتبكي :

–إنه اسم أبي !

–أجل ...وأنا واثق أنه سيفخر بحفيده .

مسحت سابينا دموعها بظاهر يدها :

– هل رأيته ؟

– فترة قصيرة .

عادت الآن لتتمالك نفسها وهي لا تكاد تصدق ما قاله لها .. كيم رزقت صبيا ...صبيا حيا !

– كيف هو ؟ أيشبه كيم أم اتشارلز ؟ هل ...

– إنه يشبه كل الأطفال الذين يولدون حديثا .. وهو صغير أحمر يصرخ كثيرا .. ويشبه كيم بشكل لا يصدق !

ظهر لها عند هذا أنه ليس صلبا لا يتحرك كما ظنت .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أريد رأيته .

– ليس لدي شك في هذا . ولكن ثمة شيء آخر عليك معرفته قبل أن نتحرك ... لقد احتاطت كيم لمستقبل ولدها ... فجعلتنا أنا وأنت حاضني فيليب الشرعيين ... معا ...

–الوحيدة التي تجرؤ :

صعقت سابينا صعقا جعلها لا تستطيع التفكير فوقفت مذهولة وقد طغى عليها الفرح واهتزت بالإثارة لعرفتها بأن اين اختها حي يرزق .

ولكنها لم تفهم كيف لها ولعمه باتريك أن يكونا الوصيين عليه وهو يعيش في انكلترا بينما هي في أمريكا .

من الواضح كذالك أن باتريك كيندل لم يكن يعرف الحل إذ قال فجأة وكأنه يصرخ بأفكاره :

– بالطبع ...الأمر مستحيل .

وضع حقيبة أوراقه على الطاولة وفتحها :

لدي هنا بعض الوثائق الرسمية وضعها محامي وهي تعفيك من كل التزام قانوني أو معنوي تجاه فيليب .

وقفت سابينا ببطء تحس بالغضب يلهب كيانها..فمن يظن هذا الرجل نفسه ! ليقول

لها إن شقيقتها ماتت ولكن الطفل الذي ترقبه حيا .... لا بد أن هذا الرجل مجنون !

ردت عليه بحدة :

– لا !

رفع حاجبيه السوداوين متوقفا عن سحب الوراق الرسمية من حقيبته :

– لا ؟

برقت عيناها الخضراوان تحديا واشتد جسدها الملتف الكويل كالوتد :

– بالطبع لا! فيليب هو ابن اختي , وأختي أرادتني وصية عليه .... وهذا ما سأكون عليه !

– لديه وصيان ... أنت وأنا .

– إذا ارتكبت كيم غلطة ... فما من أحد يخلو من العيوب !

الوجه المتكبر اتخذ منحنى أكثر تراجعا وتكبرا .... وقال بهدوء :

لا أظن أن الإهانات ستساعد على حل الموقف الدقيق

فحدقت فيه بنظرة متعالية كنظرته .

– ولا حدة إحساساتك كذالك شقيقتي ماتت منذ وقت غير بعيد وها أنت تطلب مني بكل برودة أن أتخلى عن ابنها .. ابن اختي الوحيد ...حفيد والدي الوحيد ...!

وارتفع صوتها حادامتهدجا ! ولكنه رد بخشونة :

– وهو ابن أخي كذالك وحفيد والدتي الوحيد .

– ولكنه ليس حفيدها الوحيد فعنما ترزق بطفل ...

– ينطبق الأمر أيضا عليك وعلى أبويك!

تنهدت نافذة الصبر فهذا الرجل لديه ردود على اسئلتها جميعها.

– التخلي عن حق حضانتي لفيل أمر ..

– اسمه فيليب .

– فيل اختصار ل ...

– لقد أسمته امه فيليب فلنلتزم به ...

– أنا واثقة أن كيم كانت تود اختصاره إلي فيل مثل اسم أبيها .

– لكنها لم تعد على قيد الحياة ...

– أيها النذل ! أيها النذل البارد الدم العديم الإحساس ! أنت ... أنت ....

تلاشت إلي الأرض بعد أن لفتها العتمة . عندما صحت من غيبوبتها وجدت أنها ممددة على الأريكة ورأسها مرفوع عن مستوى جسدها بعدة وسائد ...ووجه باتريك القلق يلوح فوقها

ارتد باتريك على الفور يجلس فلم تظهر عليه ملامح الإجهاد بسبب حمله إياها إلي الأريكة جلست مرتبكة تتراجع إلي الوراء بعيدا عنه وقالت : ....

- آسفة .

فهز رأسه باقتضاب :

- كنت أتوقع شيئا من هذا منض أن وجدت الصحافة تطبق عليك .

ردت بصوت منفعل :

- يا لذكائك !

وقف باتريك ... أسمر قاتم إزاء شقتها المشرقة بالألوان الفاتحة .. وقال :

- لقد وصلت إلي حافة الإنهيار ... وأشك كثيرا في أنك نمت طوال أمس ....
- أنزلت سابينا ساقيها عن الأريكة لتنهض واقفة فأحست بأنها في وقوفها تبدو أفضل حالا أمامه ورغم

رغم طولها المديد بدت مضطرة لرفع رأسها .

قالت مدافعة عن الإغماء الذي أصابها :

– مخابراتك هي التي منعتني من النوم ... ربما كنت مضطرا للمجيء إلي هنا ... كان بإمكانك شرح كل شيء على الهاتف ولوفرت عندها عليك مشقة السفر ... ولكان بإمكاني قول لا بالسهولة نفسها .

فاشتد ضغط شفتيه وهو يقول :

– ألن تلقي نظرة على الأوراق ؟

– لا

– حتى ولو علمت أن فيليب سيكون أفضل حلا معنا في انكلترا ؟

ردت بسخرية :

– ومن تعني ب معنا أنت وأمك ؟ الأرملة المريرة الممتعضة دائما .... والرجل العديم الإحساس ؟

جالت عيناه الرماديتين الباردتين فوقها بازدراء بارد :

– أتقصدين أنه سيكون أفضل حالا مع ممثلة شابة لعوب دون أخلاق ؟

– فشهقت :

– أتقصدني ؟ من أين لك مثل هذا الإنطباع سيد كيندل ؟

– كانت كيم فخورة بمسلسلها التلفزيوني الأول وأجبرتنا على مشاهدتك في دورك اللعوب الذي أبرزت فيه مواهبك !

– المواهب هب الكلمة الصائبة سيد كيندل .... كنت أمثل دورا كنت أظنك ذكيا لتفهم ذالك .

– ربما أدركت هذا ....لكن ما من سبب يدفعني للإعتقاد بأن فيليب سيكون أسعد

حالا لا بد أنك تعملين بجهد لساعات طويلة وأشك في أن يكون لديك وقت لتربية طفل صغير .

– صرفت النظر عن الحكمة في كلماته فلقد أرادتها كيم أن تشارك في تربية طفلها ... وهذا ما ستفعله :

– لدي طائرة علي اللحاق بها سيد كيندل ...

– أغلق حقيبته في عصبية :

– سأرافقك

– ليس من الضرورة

– بل هو من الضرورة الملحة لأني حجزت مقعدا على الطائرة نفسها

– أوه ألم تكن تنوي الإقامة طويلا أم كنت واثقا من موافقتي على طلبك حيث أوقع على هذه الوثائق ثم تعود إلي بلدك ؟... كيم لم تكن سعيدة مع عائلتكم سيد كيندل والآن بدأت أفهم السبب !

– حقا ؟

– أجل!

– أما أنا فقد بدأت أرى أنك عنيدة كشقيقتك تماما .اوه أجل ... كنت أعلم أنها لم تكن سعيدة فهي لم تخفي الأمر لكني مضطر لتذكيرك أنها اتخذت لابنها وصيين وهي بذالك لم تبعد عائلة كيندل عن حياته مما يشير إلي أنها لم تكرهنا كما تعتقدين .

– تعجبت سابينا من قدرة هذا الرجل على الإجابة الدامغة !

– بدلا من مناقشة هذا الموضوع أعتقد أن علينا الذهاب إلي المطار قبل أن تفوتنا الطائرة ...

– سأسافر معك ...أريد رؤية فيل...ليب ...ثم إن علي حضور جنازة كيم ... يجب أن يكون هناك فرد من عائلتها .... أظن الجنازة ستقام في انكلترا ؟

– دخلت الحمام لتغسل وجهها فرد عليها :

– حالما ... أجل .... في النهاية

– أفهم هذا ....ها أنا على استعداد تام .

– هل أنت واثقة ؟....

– كل الثقة !

– وعملك ؟

– عليه الإنتظار ... أنا مصممة على السفر معك سيد كيندل فلا تشك في عزمي .

– إذن ... فمن الأفضل أن تناديني باتريك فأنا لن أناديك بالآنسة بيرنت خلال الإثني عشر ساعة القادمة .

– اسمي سابينا .

– أعلاف هذا ...فغالبا ما كانت تذكرك كيم .

– هل تشعين بالقدرة على مواجهة الصحافة ثانية ؟ فانا أشك في انهم رحلوا خاصة إذا تناهت إليهم أخبار الناجيين .

– تمكنت سابينا من السير بثبات إلي جانب باتريك حتى وصلا سيارة التاكسي التي طلبتها أعطى أوامره للسائق وهو يدفعا إلي السيارة

– إلي المطار

– هل فيليب في منزلكم ؟

– لا سيبقى في المستشفى لبضعة أيام وهذا أمر طبيعي لأنه ولد قبل أوانه ولكنه رغم ذالك بصحة جيدة سابينا

– شكرا لله !

– ذهب باتريك ليتأكد من الحجز ثم عاد بعد دقائق :

– كل شيء على ما يرام وسنستقل الطائرة بعد قليل لقد حجزت لك المقعد مسبقا .

– أكنت تعلم أنني قادمة معك ؟

– قلت لك كيم كانت تتحدث عنك كثيرا .. وتمكنت بذالك من تخمين ردة فعلك .

– ولماذا جئت إلي أمريكا إذن ؟

– الأمر جدير بالتجربة .

– أبدا .. لن أتخلى عن فيليب أبدا !

– أقترِح عليك العدول عن ذكر الطفل حتى تصبحي أقل تأثرا عاطفيا .

– لم تدهش كثيرا عندما شاهدته يغط في نوم سريعٍ فتنهدت ... إنها بحاجة إلي وقت للتفكير فيما يجري وسيجري إنها وهذا الرجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الجالس قربها سيكونان مسئولين عن طفل صغير لن يعرف والديه أبدا أقسمت سابينا أن تكون له تلك الأم .. مهما فعلت عائلة كيندل أو قالت !

– كان باتريك قد ترك سيارته الجاكوار متوقفة في موقف المطار قادها إلي منزل عائلة كيندل بنفسه فالتفتت إليه :

– ولكن فيليب ....

– سأصحبك إليه غدا وعندها أعتقد أننا سنتمكن من حمله إلي المنزل .

– احمر وجه سابينا لتفكيرها بغرابة التقارب بينهما وهما يحملان الطفل إلي المنزل ....ربما باتريك فكر بهذا أيضا فأضاف :

– سنيتأجر مربية ....

– لا !

– إنها الطريقة الفضلى ...

– ربما هي الطريقة الفضلى لديك باتريك ... ولكنني مؤمنة أن فيليب بحاجة إلي حب الأم لا إلي اهتمام مربية لا علاقة لها به .

– حب الأم أمر لن نستطيع منحه إياه !

– لكنني أستطيع ... فأنا سأتبناه وأتخذه أبنا لي .

– هذا صعب .

– ولماذا ؟

– يجب أن يوافق الوصيان على أي أمر يتعلق به ...

– فاستدرات بحدة في المقعد الجلدي للسيارة تنظر إليه فرأته قلقا تبدو خطوط التوتر حول عينيه وفمه ...فسألته :

– وأنت لن توافق على أن أتبني فيليب ؟

– لا .

– ولماذا ؟

– لأن تبنيك إياه لن يصب في خانة مصلحته .

– لا تكلمني بتعال باتريك كيندل قل فقط ماذا تقصد ..هل تعتقد أن ممثلة لعوب دون أخلاق لا تصلح أن تكون أما مثالية له ؟

– فتنهد عميقا :

– ليتني لم أذكر تلك الملاحظة ... فأنا أشعر أنك سترمينها في وجهي طوال فترة تعاوننا !

– وهذا لن يكون لوقت طويل فأنا عائدة إلي لوس أنجلس في أسرع وقت ممكن .

– دون فيليب ؟

– بل مع فيليب !

– لا .. ليس قبل أن أوافق .وهذا ما لن يحدث أبدا . ألا تظنين أن الوقت مبكر للتخاصم بشأن مستقبل فيليب ؟

– معك لا أشعر أبدا أن الوقت مبكر لأي جدال !

– نظرت إليه فالتوى فمه وهو يجيب :

– أنت الوحيدة التي تجرأت على مجادلتي .

– فابتسمت أيضا :

– حقا ؟

– هذا لا يصدق .

– أجل

– وهل هذا نوع من التعجرف ؟

– فابتسم ثانية :

– لا ... بل هو يبعث البهجة في الواقع .

– لماذا تحمر خجلا كتلميذة بحق الله

– احتاجت إلي كل ما لديها من ثقة بالنفس لتدخل منزل كيندل بعد وقت قصير ... إنها قلقة من مقابلة ليزا كيندل

– ليزا كيندل امرأة كويلة كولدها تقريبا شعرها الرمادي مسرح بشكل رائع ذوقها في الملابس متكلف لم يظهر عليها أي أثر من انهيار أمس .

– نظرت إلي سابينا بعينين زرقاوين قاسيتين كالصوان دون إظهار الدهشة لرؤيتها ولكن دون ترحيب بها كذالك

– آنسة بيرنت .(حيتها المرأة بتعال)

– فردت سابينا ببرود ثلجي :

– سيدة كيندل

– والدك بخير ؟

– اتسعت عينا سابينا ... ما بال هذا العائلة ؟ ابن هذه المرأة وكنتها ماتا لتوهما وهي تسالها عن عائلتها ؟ هؤلاء الناس دون مشاعر بالتأكيد

– هل أستطيع الذهاب إلي غرفتي رجاء ؟ أحس بالتعب ... بعد رحلتي .

– سرعان ما قرعت السيدة الجرس للخادم وأعتطه التعليمات ليرافق سابينا إلي الغرفة الصفراء .. ولكن باترك قال لها وهي تمر قربه تتبع الخادم :

– سنكمل حديثنا فيما بعد

– فالتفتت إليه تبتسم .... تشعر بأنه الشيء الوحيد الثابت في عالم يبدو لها في هذه اللحظات مهتزا

– تبدو متعبا ...فلماذا لا تستريح أيضا .؟

– اتسعت عيناه ...ثم ضاقتا ... وكأنه يشك في دوافعها :

– ليس بعد ... فلدي أشياء أقوم بها .

– لكن لا تتأخر هم ..؟

– ربما اذهبي الآن مع الخادم

– أحست أنه أحسن صرفها ... فندمت على أدبها معه ... هذا الرجل لا يحتاج إلي عطف أحد ...أو لأي شيء !

***

جلست سابينا صامتة إلي جانب باتريك وهو يقود السيارة إلي المستشفى لإخراج فيليب منها ... اضطرابها جعلها تحس بخدل في قبضتي يديها . ولكن من السخف أن تتوتر كل هذا التوتر لرؤية طفل ...ومع ذالك لم تستطع السيطرة على نفسها إذ لا خبرة لها مع الأطفال من قبل .... خاصة مع الأطفال الرضع فهي لا تعرف حتى كيف تحمله ...وهذا ما آلمها عندما قالته لها ليزا كيندل .

لا بد أن باتريك كان قد تحدث مع أمه عندما نزلت سابينا إلي العشاء ليلة أمس فهي كانت في ذروة تكبرها وتعاليها عندما أخذت تسرد الأسباب التي تمنع سابينا من الاعتناء بفيليب حسب نظرها وعندما بقيت سابينا ثابتة على رأيها لجأت العجوز إلي الإهانات فلم تردعها حتى كلمات ابنها القاسية

الآن أصبحا على مقربة من المستشفى ....

سترى أخيرا ابن كيم !

وجدته جميلا ! لا طريقة أخرى لوصفه ..

امتلأت عيناها بالدموع عندما شاهدت الممرضة ترفع عربة نومه الصغيرة إليهما كان ينام بهدوء بعد وجبة منتصف الصباح .

تنفست ببطء وعيناها متسعتان من الذهول :

– إنه جميل ... باتريك ...!

– التفتت إليه فإذا تعابير وجهه رقيقة :

– لماذا لا تلبسينه ثيابه بينما أتحدث إلي الطبيب ؟

- دلتها الممرضة على غرفة خاصة ..حيث تمكنت فيها بمساعدة الممرضة من الباس فيليب بذلة مقفلة زرقاء ناسبته تماما رغم صغر سنه فبدا يشبه كيم بطريقة لا تصدق بل إن سابينا أحست بأن الدموع تتجمع في عينيها فشجعتها الممرضة بلطف :

- هيا هكذا هو الحال دائما مع الأمهات اللواتي يأخذن أطفالهن الناقص نموهم إلي المنزل .

- اوه لكن ...

– إنه يشبهك كثيرا ... كما أن له فكي والده ... سيكون طفلا ذكيا .

– فابتسمت ستبينا لسوء فهم الفتاة ....فهي بطريقة ما اعتقدت أنا وباتريك والدا فيليب ....كم سيغضب باتريك عندما يعلم !

– تابعت الفتاة كأنها تشرح سبب التباسها هذا .

– كنت في إجازة ... ولم أحضر ولادته ...ولكنني أرى أن صحته جيدة جدا بالنسبة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لطفل ولد في الشهر السابع . أتعلمين أن له لون بشرتك تحركت الفتاة نحو الباب مبتسمة في خجل :

– لقد وصل زوجك الآن .

– نظرت سابينا إليه .... تمسك فيليب بثبات بين ذراعيها ...

– تتساءل عما ستكون ردة فعله عندما يعلم أن الجميع يظنوه زوجها فبعد رأيه الوضيع فيها هو على الأرجح سينكر بجرأة أي علاقة بينهما . لنكنه فاجأها بقوله :

– هل أنت جاهزة حبيبتي ؟

– فهزت رأسها ببطء وذهولها منعها من الرد عليه فتبعته إلي الممر ... حيث لاقتهما ممرضة بابتسامة ودود :

– حظا سعيدا !

– فهز رأسه باختصار ليشمل امرأة فضية الشعر :

– شكرا ... على كل شيء .

– أصعدها باتريك إلي المقعد الخلفي وهي تحتضن فيليب بحزم بين ذراعيها فرفعت

عينيها إليه وهو يحاول أن يريحها في المقعد أكثر :

– لماذا ؟

– فرد بصوت منخفض :

– انتظري إلي أن ننطلق ...

– أقفل الباب بهدوء تام كي لا يزعج الصغير .

– تكلم فجأة قاطعا عليها أفكارها :

– بما ان الصحافة لم تعلم شيئا بعد عن وجود فيليب الذي أريد أن يبقى سرا بعض الوقت . قمت بهذه الخدعة في المستشفى .

– خدعة ؟

– لقد سجلت فيليب على أنه ابننا .

– ابننا ؟

– هذا صحيح .

– يا لجرأتك .

– هس ! ستوقظين الطفل وأنا أكيد أن ليس لديك فكرة عما ستفعلينه عندما يستيقظ ...هل لديك أي رد لاذع.

– أبدا ... لكنني أراهن أنك أنت أيضا لا تعرف .

– فرد بمكر :

– مخطئة .

– مخطئة ؟

– أجل ... فلدي كل التفاصيل مكتوبة ... مع تحيات رئيسة القسم .

– هذا غش !

– بل تفكير سليم ....

– يا لذكائك .

– صاح والسيارة تجتاز الطريق الخاصة الطويلة باتجاه المنزل :

– اللعنة .... اللعنة !

– فانحنت سابينا إلي الأمام بقلق :

– ما الأمر ؟

– لعلك ما زلت غير مستعدة لمواجهة الصحافة مرة أخرى . لماذا لم تتصل أمي

بالشرطة لرميهم خارج ممتلكاتي ؟ لن نتمكن الآن من اخفاء وجود فيليب ... لازميني سابينا ولا تتفوهي بكلمة !

– نزلا من السيارة فأحاطهما الصحافيون ... ماذا يظن بها ... ! إنه يعاملها كأنها حمقاء لا دماغ لها , لا كامرأة في السادسة والعشرين من عمرها ... من يظن ....

– لاحظ بسرعة وميض الغضب في عينيها فهمس :

– اهدئي .... لا أريدهم أن يلاحظوا أنك تكرهينني .

– وبدأت الأسئلة تنهال :

– هل هذا ابن أخيك سيد كيندل ؟

– هل هو ابن كيم بيرنت وشقيقك تشارلز ؟

– استمر باتريك في قيادتها نحو المنزل .

وحاول مراسل أن يكون مؤدبا ..

– هل هذه سابينا بيرنت سيدي ؟

– فقال آخر :

– بالطبع أنها سابينا بيرنت . ألا تشاهدها في مسلسلها الشهير ؟

– وتبعهما رجل :

– يقال أنكما الوصيان على الولد سيد كيندل ؟

– تجاهل باتريك الأسئلة وسار وسابينا بثبات إلي المنزل .

– لكن الرجل ازداد اصرارا :

– أيعني هذا ... أنكما ستتزوجان لتكملا رومانسية القصة ؟

– أجفلت سابينا ... وأحست بباتريك

يتصلب .. هي وباتريك .....يتزوجان ؟....

أبدا

3– زواج ؟ مستحيل !

أحست سابينا برضة في ذراعها من الطريقة التي دفعها فيها باتريك إلي داخل المنزل ليقفل الباب في وجه المراسل اللجوج الذي ما زال يطلق أسئلته .

لم تصدق سابينا قط صدمتها هذه فمن أين يأتي الناس بمثل هذه الأفكار ؟ هي وباتريك لا يكادان بعرفان بعضهما بعضا وما يعرفانه لا يعجبهما .

كان باتريك شديد العبوس عندما خرجت أمه من غرفة الجلوس :

هل استدعيت الشرطة أمي ؟

شرطة أتعني الصحافة ؟

بالطبع لا . أعني .....

فقاطعته وعيناها الباردتان تنفثان السم الحاقد

على سابينا :

– باتريك .... لم يكن يحق لك اصطحاب

هذا المراة لتأتي بحفيدي ....!

– فقطب :

– أتعنين أنك انت من استدعيت الصحافة

؟

– فصاحت العجوز بحدة :

– لا ... بالطبع لا .

– وتقدمت نحو سابينا مادة ذراعيها وقالت آمرة بلؤم :

– أعطني إياه .

– اشتدت ذراعا سابينا حول الجسد الصغير المدثر بالأغطية إذ لم تعجبها النظرة الهستيرية المطلة من عيني ليزا كيندل .

– أخطأت عندما اعتقدت المرأة خالية من العاطفة والمشاعر تجاه ابنها وزوجته لأنها

بدأت تتصدع ببطء ولم تعد مشاعرها متماسكة .

- نظرت سابينا متوسلة إلي باتريك وأحست بالراحة عندما تحرك ليسيطر على الموقف :

- حان وقت تناولك الدواء أمي .

- ردت الأم عليه بغطرسة دافعة يده عن ذراعها :

- لا أريد الدواء ...إنه يجعلني أنام . ولو لم أنم هذا الصباح لخرجت معك لإحضار فيليب .... فلا حق لها فيه !

– أمي ...

– إنها امرأة فاسقة باتريك ... كشقيقتها تماما ... لن أسمح لها أبدا بالتدخل في حياة حفيدي !

– بدأ صوت ليزا كيندل في الارتفاع بحدة وهي تردف :

– يجب أن تعرف أن ما من أحد من عائلتها قادر على تربية ولد تربية شريفة !

– لمعت عيناها بحقد ....فشحب وجه سابينا :

– سيدة كيندل ....

– اندفت المرأة المتعجرفة نحو فيليب بسرعة صائحة :

– أعطني إياه !

– فارتدت سابينا إلي الوراء ...وقد رأت أن لا مفر من هذه المرأة المجنونة !

– بدأت ليزا بشد ذراع سابينا فاستيقظ الطفل وأطلق صرخة جوع ترجف القلب.

– أعطني اياه !

– التفتت إلي ابنها تنظر إليه نظرة انتصار :

– أرأيت ؟ فيليب لا يحبها ... إنه خائف منها ... باتريك إنني أمنع هذه المرأة من الإقتراب من حفيدي .

– سيطر عليها باتريك

–

المرأة المجنونة !

أمي ...

بدأت ليزا بشد ذراع سابينا ، فاستيقظ الطفل وأطلق صرخة جوع ترجف القلب .

أعطنى إياه !

التفتت إلي ابنها تنظر إليه بنظرة انتصار :

أرأيت ؟ فيليب لا يحبها ..إنه خائف منها

..باتريك إننى أمنع هذه المرأة من الاقتراب

من حفيدي

سيطر عليها باتريك ثم راح بحزم يوجهها

خارج الغرفة دون أن ينظر الي سابينا

المصدومة الشاحبة :

فلنذهب إلي غرفتك أمي .

ماذا تعني ليزا كيندل بدعوة كيم بالمرأة الفاسقة ؟ كيف تجرؤ علي اهانتها والتلميح إلي أنها مثلها ! قد تكون المرأة علي وشك الانهيار ولكن اهانتها لكيم لا تغتفر !

هلي لي أن أطعم الطفل أنسة بيرنت؟

التفتت سابينا لدي سماعها الكلمات الرقيقة فاتسعت عيناها وهى ترى ممرضة ترتدي ردائها الرسمى الأبيض الخالي من العيوب كانت امرأة متوسطة العمر علي وجهها ابتسامة دافئة تمد ذراعيها لاستلام فيليب .

أضافت الممرضة والطفل يبكى :

أعتقد انه جائع أنسة بيرنت .

تصارع الغضب والتعقل فانتصر الأخير

..فيليب جائع جدا كما يدل وصوته ولا

تدرى ماذا أفعل باتريك بزجاجة الحليب التي

أحضرها معه فلم يكن لديها أي خيار سوى

أن تسلم إلي المرأة التي تظهر المقدرة عليها :

سألتها بعفوية والمرأة تضم فيليب بين ذاعيها

:

هل تعاقد معك السيد كيندل ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

طبها ...ولقد حضرت غرفة الطفل أثناء غيابك ...ولو سمحت لي الأن .

هزت سابينا رأسها باقتضاب ...فقد بدا أن رئنا فيليب ستنفجران اذا لم يطعمه أحد في الحال !لكن أن يستخدم باتريك ممرضة دون استشارتها أمر لا يغتفر ...خاصة وانها أبدت رأيها بمثل هذه الفكرة .

مضت عشر دقائق ولم يعد منغرفة أمه ...فتهدت سابينا بغضب وصعدت إلي غرفتها لتستحم وتغير ملابسها للغداء فما

يجب أن تقوله له لا يؤجل أبدا فكيم دون ريب عوملت كالمنبوذة في هذه العائلة ..وكلمات ليزا تظهر أكثر من هذا ولكن سابينا بيرنت لا تحب أحدا من أفراد هذه العائلة ...ولن تسمح لأي منهم بالتطاول عليها .

تناولت الغداء وحدها .ثم سألت بشكل عرضى الخادم عن مكان وجود باتريك فأخبرها أنه في مكتبته وهذا كل ما تود معرفته !

بعد طرقة ثابتة علي الباب باتريك يطلب منها الدخول فدخلت ووقفت بعدائية امام طاولة المكتبة رافضة عرضه بالجلوس فهي لا تريد ان تشعر بالحرج وهي تجلس أمامه كأنها تلمذة مذنبة !

لقد تعاقدت مع مربية ...

فصحح لها بهدوء :

ممرضة أفيليب معها الأن ؟

لقد أطعمته وهو في مهده نائما الان تفقدته قبل الغداء

أعلم ان السيدة بريد كفؤة قديرة

اعتقد انني قلت لك إنني لا أريد له مربية ..

السيدة بريد ممرضة

مربية ،ممرضة سواء !

ضاقت عيناه الرماديتين وكأنه يستعد لمعركة

فيليب ولد قبل أوانه وفي ظروف غير طبيعية

...والأطباء لم يوافقوا علي أن نأخذه ايوم الا

بعد ان وافقت علي استخدام ممرضة محترفة

تراقب صحته بضعة أسابيع .

أوه

حقا

فاجتاح الاحمرار وجنتها :

كان يمكنك قول هذا لى ...! انت لم تفه

بكلمة لعينة واحدة أثناء الطريق من

المستشفى إلي البيت.

كان هناك أشياء أخرى تشغل فكرى ..

هستيرية أمك علي ما أرجو !

فلندع امي خارج الموضوع

فصاحت به متورتة :

لن أفعل ! لقد تفوهت باهانات تحتاج لشرح

وضع باتريك القلم من يده ووقف ...ثم قال بحدة وعيناه تضيقان غضباً :

لماذا تصرين علي مواضيع من الأفضل ان تترك في الوقت الحاضر ؟

ولماذا تصر علي تجنب هذه المواضيع ؟ فأنت حتي الان ترفض التباحث بشأن مستقبل فيليب وها انت تضيف إليه رفضك ذكر سبب كراهية أمك لكيم .

ألم تفكرى قط أن هذه الخسارة المزدوجة أثرت في أكثر مما أثرت فيكما أنت وأمى .

ألم تفكرى قط أنني أحزن أيضاً

ربما لا أظهر مشاعري كما تفعلين انت ولكن هذا لا يعنى أنني أفقدها تشارلز كان أخي الأصغر وكيم كانت فرداً من أفراد هذه العائلة مدة سنتين ربما لم أظهر أمام أحد مشاعرى قبل الآن ..لكنك وأمى تظهران ما يكفى من هستيريا لنا جميعاً !

ابتلعت ريقها بصعوبة تحس بوقع التأنيب كما هو تماماً فإن لم يظهر مشاعره فهذا لا يعنى أنه متحجر القلب دون مشاعره فقالت :

انا آسفة ....سنؤجل هذا البحث في الوثت الحاضر إذن .

فالتوي فمه مزاحاً :

نؤجله فقط؟

كلمات أمك ضدكيم مهينة جداً إنها علي وشك الانهيار وهذا ما لاحظته طبعاً؟

لكننا عادة لا نظهر حقيقة ما نحس به إلا في دروة الانفعال

صدقينى ...أمى دائماً تقول ما تحس . مثلك .

ومثلك.

أراح المرح العفوى أساريرها .فقالت ساخرة :

إذن نحن مجموعة من الصادقي الانفعالات ؟

نعم هذا ما أراه ...والآن أتسمحين لى بأن أتم عملي ؟

فمصانع كيندل لم تتوقف بعد وعلي إدارتها .

بقي مشغولا ثلاثة أيام فما كادت تراه إلا قليلاً لكنها لم تشاهد ليزا كيندل كذلك فقد ولدها بالاقامة عند ابنتها لفترة فأمضت بذلك سابينا أوقاتها كلها مع فيليب وسرعان ما تلاشى توترها معه فتمكنت من إرضاعه وإلباسه وتغيير حفاضاته كما ان الطفل بدأ يتعرف إليها فغالبا ما كان يتوقف عن البكاء عندما تحمله وتهدهده بعد أن تعجز السيدة بريد

في الليلة الثالثة تسمرت سابينا في مكانها عندما شاهدت باتريك في غرفة الطفل يجلس في الكرسي الهزاز يطعم فيليب الحليب ....فهى لم تعرف انه قام بمثل هذا العمل من قبل .

رفع بصره إليها وكأنه أحس بنظراتها المحدقة فيه فابتسم عندما رأي دهشتها ...فردت الابتسام متقدمة نحوه :

انت رائع هكذا .

هذا ما كنت أظنه إلي أن حاولت ان اجشه

فتقيأ علي ظهرى

كبحت سابينا ضحكتها بصعوبة :

حدث ذلك في البداية لكنني الآن أضع

منشفة صغيرة علي كتفي .

سأفعل هذا في المستقبل .

وضع الزجاجة من يده بعد فراغها

انتظر ...دعنى أضع هذه

سارعت إلي وضع منشفة علي كتفه فقال

ساخراً :

أليس الوقت متأخراً علي هذا ؟

التأخر أفضل من لا شىء

مسحت فم فيليب بعد تفيئه قليلا ثم قالت برضى :

انظر ...يكاد ينام .

وقف باتريك ليضع الطفل الناعس في مهده أرسلت السيدة بريد للعشاء ففكرت في أن أختبر سبب اشراقتك خلال الأيام الأخيرة لم تكن كلها كذلك فقد تقيأ عدة مرات علي ظهرى

مسح بقايا الحليب عن كتفه :

ياالهي ...رائحة القميص مقرفة !

وكذلك رائحتك سأغسل لك هذا القميص

أثناء اغتسالك

وانا الذي ظننت ان رائحة الأطفال دائما

عطرة

فضحكت بصوت منخفض :

مسكين باتريك

همم ....هلي حرمتك من متعتك الليلية ؟

ذكرت السيدة بريد انك تطعمين فيليب

وتعتنين به الآن

اتمتع بهذا كثيرا

هز رأسه وخرج إلي الممر فتبعته حتي لا تزعج

محادثتها الصغير النائم قال لها بهدوء:

ستجرى الجنازة في الغد ظهرا سابينا ..

شحب وجهها إنها تعرف أن جثث ضحايا

الكارثة قد سلمت إلي الأهلين للدفن لكن

الجنازة لم تذكرأمامها من قبل ..

أردف بصوت خال من المشاعر تكرهه :

لقد تحدثت مع اهلك ....والدك مازال في حالة لا تسمح له بالسفر ووالدتك لا تريد تركه في مثل هذه الظروف .

أحست بتقاربهما الذي كان خلال وجودهما مع فيليب يتلاشى ليحل محله الامتعاض :

كان يجب أن تتركني أخبرهما.

لم يكن ضروريا...

إنهما أهلي ....تباً !

لماذا تلجأين إلي اشتم دائماً عندما تفقدين أعصابك؟

ولماذا تفقدنى أعصابي؟

فرد عليها متجهماً:

ليس لدى فكرة.

فحملقت به بعينين تلمعان باخضرارعميق: لكنني أعلم !فعليك ان تكون أقل تعجرفا فأنت أكبر متسلط رأيته في حياتى وهذا ما دفعنى إليه سوء طالعى فليس من حقك

مكالمة أهلى عن الجنازة ...لأن ذلك من واجبي انا!

لم أشأ أن أزيدك ألماً ...

أنت تعنى أنك كنت مشغولا بتنظيم كل شيء فلم تفكر في مشاعر أى انسان أخر إلاك ...لقد تمكنت من تنظيم حياتى منذ تركت بيت العائلة في الثامنة عشرة لالتحق بالجامعة ...ثم أخري

كرهت سابينا وجودها في هذه الكنيسة الباردة الخالية من المشاعر وكرهت نظرات

الفضول الموجهة إليها من قبل عائلة باتريك

...وتساءلت لماذا لم تستطلع البكاء

وشقيقتها مسجاة في النعش أمامها .

كانت ترفض البكاء ...ترفض تصديق أن

هذه الأشلاء هى لكيم تلك المرأة المحبوبة

المرحة الضاحكة .ما من احد من الموجودين

هنا أحبها ...ما من أحد حاول أن

يفهمها...لذا لن تترك لهم شقيقتها الرضى

بمعرفتهم مدى حزنها عليها .

حين رجعوا إلي المنزل بدا أن ليزا كيندل قد استعادت رباطة جأشها . فعادت تمثل دور المضيفة اللبقة أمام أفراد العائلة القادمين من الكنيسة . كان ما يجري بالنسبة لسابينا جزءا مكملا للمسرحية ... كيف لهؤلاء الناس أن يحسوا حقيقة بفقدان سابين جميلين بينما هم يتجمعون حلصات يشربون ويأكلون والحدم يدورون بصواني المآكل بينهم ؟ بكل صراحة ... كل ما يجري حولها أصابها بالسقم.

أرادت الهرب ... والابتعاد عن القوم ... لكن الكبرياء منعتها فبقيت تقف هي في الغرفة .. فشقيقتها لم تكن ممن يهرب من معركة وهي لن تفعل .

– لقد ناتل أخيرا ما تريد !

أجفلت سابينا والتفتت لتواجه روزي فريستون فتوترت لأن هذه المرأة أشد برودة وأكثر تعاليا من والدتها .فعلمت سابينا أن أي محاولة للحديث معها لن تمت إلي الأدب بصلة . فردت عليها متسائلة ببرود :

– أستميحك عذرا ؟

– أقصد أن كيم أرادت دوما الابتعاد عن العائلة ... وهذا ما نالته وإن كان بطريقة لم تتوقعها .

– شهقت سابينا أنفاس ألم :

– لا أظنها أخفت يوما عدم رضاها عن حياتها هنا .

– لقد أرادت العودة إلي عملها ..ما كان على تشارلز أن يتزوج من ممثلة . كان واضحا أن امرأة مثلها لم اكن تهتم سوى بماله.

– شهقت سابينا ... روزي تشبه أمها أكثر مما توقعت كلاهما تشعران بالسعادة لإهانة كيم الميتة .

– هل يجب أن أذكرك بأن كيم ... شقيقتي ؟

– اهتز صوتها قليلا ولاحظت فم المرأة يلتوي سخرية بهذا الضعف ... وصدر عن روزي استهزاء :

– لا تذكريني ... فأنت تشبهينها بطرق عديدة.

– هذه المرة الإهانة كانت هجوما شخصيا ... فلم تتردد سابينا بالرد ... فقالت لها ببرود :

– وهل كانت تظنك أيضا ***** رديئة ؟

– لون الغضب الأحمر طغى على وجنتي المرأة .

– كيم كانت أعقل من إظهار العدائية .

– فرفعت سابينا حاجبيها وقالت ببرود :

– أما أنا فلا ! آسفة سيدة فرستون .. لقد ظننت أن هذا وقت الصدق .

– صحيح ..لذالك أقول لك إنني لم أحبك بقدر ما كرهت كيم .. ونحن بكل تأكيد لن نخطئ ثانية بإدخال أحد من عائلة بيرنت إلي عائلتنا !

– لكن فيليب أيضا ينتمي إلي عائلة بيرنت .

– نظرت إليها روزي بازدراء :

– عنيتك أنت سابينا . أقول ذلك لئلا تسول لك الصحف أفكارا خاطئة .

– فشهقت :

– كأن أتزوج باتريك ؟

– تماما .

– ألن يكون له رأي فيمن يريد الزواج منها ؟

– طبعا ... وأستطيع أن أقول لك منذ الآن ... انه لا ينوي الزواج .

– فابتسمت سابينا بلؤم :

– أنت آمنة إذا ؟

– فتفرست بها المرأة بعنين ضيقتين شرستين :

– إلا إذا حاولت فرض المسألة ... فهو لن يسمح بأن يصيب فيليب ضررا .

– وانا لن أضره أبدا

– أحست بالتعب من جدالها العقيم مع هذه المرأة:

– هل أذكرك سيدة فريستون أننا في جنازة ؟ وليش هذا هو الوقت المناسب لمثل هذه الأقوال ؟

– لا وقت أفضل منه .. لقد خلفت كيم لنا المتاعب كعادتها ...وكانت تعرف إلي ماذا ستؤدي هذه الوصاية المزدوجة .

– لم تكن في حالة تسمح لها بالتفكير في الانتقام منكم .

شقيقتك كانت وصمة احراج لعائلتنا منذ اليوم الذي دخلت فيه إليها

لماذا ألم ترتفع إلي مستوى عائلتكم ؟

أبدا بل ما كانت لتصل إلي هذه المرتبة !

ولولا حملها لما دام زواجها هذه المدة .

أتعنين أنها حملت قصدا لمأرب ما ؟

طبعا ... فإنجاب وريث للعائلة كان سيضمن بقاءها زوجة رجل ثري . ما أنني اعمل أن تشاءلز لم يكن يريد أولادا بعد .

ولكن الحمل قد يقع أحيانا وإن احتطنا لمنعه

.

الخطأ ما كان ليقع مع تشارلز

– فشحب وجه سابينا :

– هل تقولين ... تلمحين إلي ..

– إلي أن هناك رجل آخر متورطا في تكوين فيليب ؟ رجلا غير تشارلز ؟ أستطيع القول إن هذا ممكن !

– لا أصدقك ....أنت تختلقين هذه الأشياء ... كيم ما كانت لتقيم علاقة أخرى مع رجل لأنها كانت تحب تشارلز .

– كانت تعلم أن زواجها فاشل .... وهي ليت المرأة الأولى التي تحمل عن سابق تصميم لتحافظ على زواجها .... وإن كان الحمل من رجل آخر .

– ردت عليها سابينا ببرود:

– لا أصدقك . كيم لم تكن قادرة على فعل ما تتهمينها به .

– فلتوى فم روزي بسخرية :

– صدقيني كانت قادرة .

– فقطبت ونظرت إليها مفكرة :

– هل أنت جادة حقا في ادعاء أن فيليب ليس ابن تشارلز ؟

– جادة كل الجد ... لكن والدتي مؤمنة بأنه ابنه وهذا هو المهم .

– فحص الدم إذا ...

– قد يبرهن صدقي , وربما لا يبرهنه . هل ستقومين بذالك وأختك الآن ميتة ؟

– علمت سابينا أنها لن تستطيع ... فوالدها لن يغفر لها هذا أبدا .. وهي لن تصدق كلمة واحدة فاهت بها هذه المرأة ...

– وأكملت المرأة :

– لا أظن هذا ... عودي إلي بلادك سابينا .. أنت غير مرغوب فيك هنا .

– ثم تركتها مبتعدة وكأنها لم تفعل شيئا .

– رفعت سابينا عينيها بعد إحساسها بأن شخصا يراقبها فاصطدمت بعينين رماديتين متسائلتين . كان باتريك يتحدث إلي رجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عجوز .. لكن اهتمامه انصب عليها .

فالتفتت مبتعدة ترغب في الهرب وفي أن تكون وحدها لتفكر فيما تمتعت روزي فريستون بقوله لها .

– السيدة بريد كانت في الغرفة مع فيليب ... تهدهده وهو يصيح بشكل غريب فابتسمت عند رؤية سابينا :

– أظنه تناول كمية كبيرة م الحليب .

– فابتسمت وهي العارفة بمدى قابلية ابن أختها .

– ربما ... اذهبي إلي المطبخ واحضري لنفسك كوب شاي سأبقى مع فيليب .

– حسنا ... إذا كنت واثقة ....!

– أجل .

– اعتقدت أنني سأجدك هنا !

– أجفلها صوت باتريك الخشن .... هل يظن هذا الرجل أن كيم كانت على علاقة برجل ؟ أو يشك في نسبة فيليب إلي أخيه ؟ لو أن هذا صحيح ... فلن تحتاج لفهم سبب كراهية أمه لكيم .

– ردت عليه ببرود :

– لم أستطع تحمل السيرك الدائر تحت .

– أتعتقدين أنه كان عليهم إظهار الاحترام أكثر ؟

– الاحترام يمكن ان أفهمه .... لكنهم كانوا يتصرفون وكأنهم في حفلة !

– أتفضلين أن يقفوا باكين ؟

– سيكون ذالك على الأقل طبيعيا أكثر !

– فتنهد :

– وهل اختفاؤك هنا طبيعي ؟ ضعي فيليب ف فراشه فقد نام منذ عدة دقائق .

– فوضعته في مهده ثم عقدت ذراعيها إذ لا شيء يشغلها الآن .

– لماذا لا نجتمع إلا في هذه الغرفة ؟

– فبللت شفتيها بلسانها :

– لأنني أقضي أكثر أوقاتي فيها .

– قال بلطف :

– لم أكن أنتقد ... بل أقرر أمرا واقعا .

– لكن الوقائع قالت لي سيد كيندل ان الجنازة لم تكن سوى مناسبة سانحة لتمثل أمك دور المضيفة الأنيقة ولأتلقى الاهانات من شقيقتك المتعجرفة .

– روزي ؟

– هل لديك أخرى ؟

– ماذا قالت لك ؟

– ليس المهم معرفة كلماتها بالضبط , فبعضها كان شبيها بما قلته لي عندما جئت إلي لوس أنجلس .

– أظنني قلت أنني ندمت على ما تفوهت به

.

– وأنت قبلت اعتذاري الخفي دون كلمات

.

– أفهم أن تصرفاتك نابعة من ألمك ...

لكن لا تدفعيني أكثر مما يجب .

– لا أدفعك أكثر مما يجب وهل يفترض بي القبول بإهانات هذه العائلة كلها ؟ رغم ذالك تقول لي لا تدفعيني أكثر مما يجب ؟ حسنا ... لدي بعض الأخبار لك .. أوه....

– شهقت بعد أن شدها إليه فاتسعت عيناها مرتبكة من قساوة قبضته .

– باتريك

– أجل ... باتريك ....سابينا , يا إلهي ما أجملك !

– وسرعان ما أصبحت بين ذراعيه يعانقها بقوة وشغف حتى أحست بجسدها يلتحم بجسده . وكان هذا آخر ما تتوقعه .....

– فقد ذابت عن أول لمسة منه ... وأحست بالسعادة لاعتمادها على قوته في الوقوف

... وكان من الممكن أن يستمر هذا العناق إلي الأبد , فلمشاعرهما معا الحرارة والقوة ذاتها . لكن شهقة من الباب المفتوح أبعدتهما عن بعضهما فإذا بهما يريان ليزا كيندل تنظر إليهما بذعر .

– إتهامات عينيه

إبتعدت سابينا أولا عن ذراعي باتريك، لكنه شدهما للحظات حولها، ثم تركها، ملتفتا إلى المرأة الواقعة بالباب بعينين فولاذيتين يسأل ببرود:

–أتريدين شيئا أمي؟

شمخت الأم بقامتها اقصى شموخ :

-جئت لأقول لك إن عمك سيمون سيغادر...و لم احسب انني سأقطع عليكما...شيئا.

نظرت إلى سابينا بإزدراء متكبر. و كأن الأمر غلطتها هي وحدها، و تقدم باتريك من الباب، و قال لأمه بقساوة، دون الرد على إشارتها الواضحة لما رأته:

-هل لنا ان ننزل إلى القاعة أمي؟

-اود الحديث مع سابينا...

-فلينتظر الحديث إلى ما بعد.

-لكن...

فإلتفت إلى سابينا و كأنه لم يسمع إحتجاج أمه:

-سأتحدث إليك لاحقا سابينا... لا بأس في هذا؟

-أجل...لا بأس.

أخذ باتريك أمه معه، تمسك يده مرفقها بحزم...فشكرت سابينا الله على حسن تصرفه، لأن اخر ما كانت تتمناه هو جدال عقيم مع ليزا كيندل.

كان الضيوف قد بدأوا بالمغادرة عندما نزلت سابينا إلى القاعة، فلاحظت أن روزي و زوجها غادرا. و لاحظت أن ليزا كيندل رمقتها بإزدراء، لم تستطع الرد عليه لأنها تحس بالذنب، و هذا السخف بحد ذاته. فباتريك هو من بدأ العناق، و كل ما فعلته أنها إستجابت و قد تعيد الكرة ثانية إن عاد لمعانقتها.

خلال العشاء أخدت ليزا تراقبهما عن كثب، و كأنها تتوقع منهما العجز عن إبعاد أيديهما

عن بعضهما البعض...فكبحت سابينا انبساطها بجهد، مع ان باتريك بدا غاضبا من تصرفات أمه.

بعد العشاء طلب من سابينا بكل هدوء:

-هل لك أن تأتي إلى مكتبتي قليلا؟ أود أن أحدثك قبل سفرك ف الغد.

بدأت نبضاتها تتسارع و هي تفكر في إنهما سيكونان وحدهما ثانية، متسائلة ما إذا كان سيكرر عناقه. فقاطعتهما أمه بعجرفة:

– إن ما ترغب في قوله تستطيع البوح به أمامي باتريك.

–لا...لا أظن هذا!

قال ذلك ثم جذب كرسي سابينا لتقف...فاحمر وجه المرأة المسنة:

–لماذا ؟

نظر إليها بتكبر:

–لو أخبرتك لماذا، لما إضطررت للحديث إلى سابينا على إنفراد.

–إذن...

فقاطعها ببرود و إقتضاب:

-عن إذنك أمي...

-لكن باتريك...

-فيما بعد أمي...

و اخرج سابينا من الغرفة و يده على مرفقها بقوة. ما أشرس هذا الرجل! فعندما يقول شيئا يعجز الأخرون عن مجادلته.نار صغيرة اشعلت في مدفئة المكتبة، فالامسات كانت باردة في الخريف.

جلست سابينا في المقعد المقابل له أمام الطاولة. فقال لها مشيرا إلى اريكة جلدية أمام النار:

-تعالي و إجلسي هنا. إنه مريح أكثر.

تحركت لتجلس معه و هي تقول:

-هل انا بحاجة لاكون أكثر راحة؟

فضحك:

-لما سأقول...اجل اظن هذا.

-يبدو الامر منذرا بالشر.

-لعله ليس كذلك، فحديثي يتعلق بفيليب.

-طبعا.

لماذا أحست بخيبة امل؟ أليس فيليب هو السبب الوحيد لوجودها هنا؟

-مع أن مشاكلي في حل المشكلة ليست عادية.

-فيليب اصغر من ان تفكر في وضعه في مدرسة داخلية.

و لم تسره دعبتها بل زادت فمه توثرا:

-لن أرسله إلى مدرسة داخلية...أبدا.

إتسعت عيناها:

-ظننتكم جميعا أل كيندل تذهبون إلى مدرسة داخلية؟

-هذا صحيح لذا لن ارسل إبنا من ابنائي إلى مدرسة داخلية. فيليب ليس ولدك. ليس بعد...لكن أخطط ليصبح ولدي. و اظنك يجب ان تكوني أمه.

فابتلعت ريقها:

-ماذا تعني؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

–من الواضح انك تحبين الطفل كثيرا، و اظن ان الصحافة قد اوحت لنا بالحل... لذا علينا الزواج.

حدقت سابينا فيه بعينين واسعتين مصدومتين...اتتزوج باتريك كيندل؟ هذا ليس بالامر العادي بل إنه مناف للعقل!

– ارى ان الفكرة ادهشتك. لكنني لا ارى حلا اخر. انا ارفض التخلي عن فيليب، و كذلك انت... و إذا كنا لا نرغب في ان

ينشأ في الطريق عبر طرفي الاطلنطي كل ستة اشهر، فلا اعرف ما قد نفعل غير هذا؟

- لكن عملي هناك؟

-اتحبين عملك؟

-اجل.

-إذن علينا إيجاد طريقة لحل هذه المعضلة...قد انقل المقر لمؤسسة كيندل إلى اميركا حتى اكون قريبا منك و من فيليب.

-لا اعني...هل ستقوم بذلك حقا؟

فهز راسه: نعم إن لم يكن امامي خيار اخر، فلفيليب الاولوية.

–و انت...؟ الا ترغب في الزواج من إمراة تحبها؟

إلتوى فمه و إزدادت برودة عينيه:

–الحب هو إحساس مدمر، يشل من يحب و يجعله دون إرادة، عرضة لكل انواع المخاطر...لا... لا اريد ان اتدمر بهذه الطريقة.. زواجنا سيكون زواج مصلحة...

-لكن هذا ذهب مع العهد الفيكتوري إلى غير رجعة.

-لكنني لم اقل إنه يجب ان يكون زواجا عذريا. فلن ابقى عمري كله اعزب. و انم لم تجدي عناقي لك مقرفا اليوم. و هذا يعني انك لن تجديني زوجا كريها كذلك.

لم تتوقع منه ان يتحدث بهذه الطريقة...

فقالت له على إستحياء:

-انا واثقة انني لن اجدك مقرفا... لكنني لن استطيع الزواج منك.

-لم لا؟ قلت إنك لن تتزوجي ذلك الرجل...طوني. فكري في على اساس ان علاقتنا ستكون دائما مؤقتة. و اؤكد لك انني لن افرض نفسي عليك اكثر مما يجب. فانا عادة قادرة على ضبط متطلباتي مع النساء.

لم تستطع تقبل ما يقال لها بهدوء...فسألته:

-هل اتزوجك فقط لينال فيليب ابوين؟... و في بعض الاحيان تقوم برحلة من غرفتك إلى غرفتي... اليس كذلك؟

-الامر الاخير يحدث من جهتك او من جهتي...فللنساء حاجتهن ايضا.

لمعت عيناها بغضب عميق: إذن إذا احتجت إلى رجل، أتي بكل بساطة إلا غرفتك؟

-و ما الخطأ فيه؟

فصاحت به بشراسة:

-لا شئ إذا كنت آلة لعينة. فما تعرضه علي امر غير إنساني!

بدت تقطيبة حيرته حقيقية:

-لا اراها كذلك.

-هذا واضح!

-انظري... إذا كنت قلقة من عدم قدرتي على القيام بواجبات زوجية مرضية... فأنا اطمئنك إلى انك مخطئة.

إرتدت سابينا خائفة و هي ترى التصميم البارد في وجهه، قالت:

-هذه ليست الطريقة المثلى للحب بين الزوجين...

-ربما انت على حق...لكن اردت إظهار مقدرتي لك.

فدفعته في صدره بقوة:

– انت عملي...!

–و قد اصبح عاطفيا...انت جميلة سابينا... فدعيني اظهر لك ما سيكون عليه الامر بيننا.

ثم إنحنى يعانقها برقة لم تلبت ان تحولت إلى نار مشتعلة افقدتها الاحساس بأي شيء في العالم إلاه، فقد غرقت في مشاعرها و راحت تستجيب له و تبادله عناقه بحرارة و شغف.

بعد لحظات طويلة من العناق و المداعبة جذب نفسه عنها قائلا:

-لا...! اتظنين انني لا اريدك...؟ لكن ليس هنا، كما انني لا اريد تعقيد الامر بعلاقة بيننا، موافقة؟

فردت لاهثة:

-موافقة. فانا كذلك لا اريد تعقيد الامور اكثر. و مع ذلك فلن استطيع الزواج منك، باتريك.

- الن تفكري فيه؟

–لن افكر... إذ لن ينجح هذا باتريك. فكل المشاكل التي جعلت كيم غير سعيدة ستقع علي كذلك إن اصبحت زوجتك.

– اية مشاكل؟

– امك..و العيش معها...جنسيتي...اضف إلى ذلك إنعدام الحب بيننا، الحب قد يساعد على إنجاح زواج.

حسنا...لكن هذا بالضبط سبب يكفي لانجاحه...و امي مشكلتي لا مشكلتك. كما

انك لم تظهري الكره لانكلترا اثناء وجودك فيها. ثم انني ساسمح لك بمزاولة مهنتك.

نظرت إليه بحيرة:

-هل استطيع مزاولتها؟

-بالطبع. إذا كان دورك في المسلسل الاخير قياسا لتمثيلك فحرام ان تتوقفي. لكن هل فكرت انني إن اكملت تمثيل المسلسل فسأبقى ستة اشهر في امريكا...آه...فهمت الان. إذا تزوجتك

سيبقى هنا دائما، و علي ان اسافر انا ستة اشهر كل سنة...لا مجال لهذا باتريك!

فنظر إليها متعاليا متعجرفا:

–اما قلت لك إنني سأنتقل إلى امريكا إذا كان هذا ما تريدين. كل ما اريده ان اؤمن لفيليب حياة مستقرة مهما كان الثمن.

تحول غضبها إلى إرتباك فهو يعني ما يقول، و قد عرفت ذلك من النظرة في عينيه. و ما عليها سوى ان تقول الكلمة...لكنها لن تستطيع طلب هذا منه...مهما كانت تكره

ليزا كيندل، فلن تستطيع فعل هذا بها.فقد خسرت ولدا! و خسارة الاخر... و حفيدها كذلك...سيحولها إلى حطام...

– إسمعي...لا تفكري في الامر الآن. عودي إلى بلادك...ما من داعي للعجلة...فبضعة اسابيع لن تغير شيئا. و اظنك بحاجة لفترة من التفكير.

– انت...الم تفكر؟

-بلى و لكن ليس طويلا...لكن الامر مختلف بالنسبة لي...فلن اخسر شيئا بزواجي منك.

-و حريتك؟

-هذا ليس كثيرا. ثم انني ساكسب اكثر...زوجة جميلة...و إبننا صحيح الجسم.

إحمر وجه سابينا للاطراء:

-الامر حقا بحاجة إلى التفكير يا باتريك.

-تريثي في التفكير فلن استعجلك.

بدأ التفكير منذ تلك الليلة، حتى تعجز عن النوم، فكانت تقلب الفكرة من كل الزوايا و الوجوه، و في كل مرة كانت تخرج بالجواب ذاته. لكنه جواب لم تقبل به. امريكا موطنها، و طوني صديقها...و ابواها لا يبعدان كثيرا عنها...و ليست بحاجة إلى رجل معقد مثل باتريك كيندل في حياتها...ان له عمقى لم تعرفه في رجل من قبل!

كادت تستدير و تهرب عندما دخلت غرفة الطعام في اليوم التالي حيث وجدت ليزا

كيندل وحدها. تبتسم في خبث و تخبرها بان باتريك تناول طعامه ثم قصد مكتبه ليتم بعض الاعمال المكتبية المستعجلة قبل ان يوصلهى إلى المطار...اضافت ليزا كيندل ببرود:

-...و هذا يعطينا فرصة لنتحدث وحدنا.

سرعان ما تصلبت سابينا...فإذا بدأت هذه المرأة بإهاناتها فلن تتمكن من تناول شيء من الطعام.

- عم أراد باتريك أن يكلمك ليلة أمس؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إتسعت عينا سابينا لهذا الهجوم المباشر.

فحاولت المراوغة:

-الم يخبرك؟

نظرت ليزا إليها نظرة حاقدة:

-ما كنت لاسأل لو أخبرني! باتريك كان دوما شخصا منطويا. لكن لا شك عندي في انه سيخبرني...في الوقت المناسب.

- لكنك تفضلين عدم الإنتظار؟

-صحيح!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سحبت سابينا انفاسا عميقة متظاهرة بارتشاف قهوتها ببطء. ثم اعطتها الرد الوحيد المستطاع في مثل هذا الظرف:

-لن أخبرك ايضا...فلو اراد باتريك إخبارك لأخبرك. انا اخشى ان تكوني مضطرة للإنتظار حتى يقرر إخبارك بنفسه.

إنقلب وجه المرأة العجوز إلى قناع بشع من الغضب، فصاحت:

-لا تتذاكي علي معتمدة على عناق واحد سابينا! فذالك العناق لا يعدو ان يكون

مؤساة لك خرج خلالها عن السيطرة على نفسه.

-صدقي ما شئت... فلن أضيف كلمة على ما قلته لك.

ردت ليزا ساخرة:

- لا تضيفي كلمة...فلدي ثقة كافية بباتريك تدفعني إلى ألا أصدق تورطه مع امرأة مثلك!

-كفى!

إلتفتت سابينا فرأت باتريك واقفا بالباب ورائهما، يقول بغضب و تجهم:

-لن اقبل إهانة سابينا بعد الان يا أمي...

-لكن...

فتجاهل أمه و قطع إحتجاجها موجها الكلام لسابينا:

-أنا حاضر للمغادرة سابينا إلى المطار الآن إذا كنت جاهزة سابينا.

فابتسمت له شاكرة و وقفت:

-يجب ان اودع فيليب أولا.

فردت العجوز بعجرفة:

-لن يفهم.

فرد باتريك بصوت رقيق:

-إن هذا ليس وداعا.

فصاحت الأم بحدة، ناسية الحذر من لسانه اللاذع:

-ليس وداعا؟

فنظر إليها ببرود:

-سابينا تنوي العودة إلينا بعد بضعة اسابيع.

فاحمر وجه امه:

-ما كنت اعلم هذا.

اوه..انها ستعود دون شك فعليها التفكير في مستقبل فيليب اليس كذلك؟

نظر إلى سابينا متحديا...فغضت طرفها و ردت بصوت خفيض:

-هذا صحيح...لكنني لست واثقة حتى الان كيف سيكون الامر.

-قلت لك، لا داعي للعجلة.

ليزا كيندل لم تعد تحتمل اكثر..فقاطعتهما بحدة:

ماذا يجري هنا؟ باتريك اريد معرفة ما يجري بينكما؟

فرفع حاجبيه متكبرا:

–لا شيء " يجري" في الوقت الحاضر. امي! و لو ان شيئا يجري، فهو من شأني و شأن سابينا الخاص. و ان كان علي إخبارك شيئا ما فسأفعل...ما الأن فنحن مضطران للخروج.

امسك ذراع سابينا بحذر ثم خرجا معا. و ما إن اصبحا بعيدين في الردهة حتى تنهدت بارتياح و نظرت إليه:

-واو! لست ادري كيف تجرىء على التحدث معها هكذا.

-بالممارسة...اذهبي و القي نظرة سريعة على فيليب...فليس امامنا وقت طويل للوصول إلى المطار.

تحطم قلب سابينا و هي تودع الطفل..و كأنما فهم أنها مسافرة، فبدأ بالبكاء، و

اصبح وجهه الصغير أحمر. فقبلت وجنتيه، و هي تشعر بأنها ستشاركه البكاء.

-لن أتأخر...أعدك يا طفلي!

دخل باتريك الغرفة عندئذ و قال بخشونة:

-لا تقطعي وعودا لن تتمكني من الوفاء بها.

-اوه...سأفي بها...لكنني لا أدري إن كنت سأقيم بعدها هنا ام لا.

فرد بلطف:

-يجب علينا التحرك فعلا سابينا. فأنا مضطر للذهاب إلى المكتب بعد إيصالك.

–أسفة...أنا مستعدة.

اعادت الطفل إلى مهده...ثم إرتدت على عاقبيها دون أن تنظر إلى الخلف. و قد حافظت على تمالك ذاتها حتى اصبحا في منتصف الطريق إلى المطار، فعندها لم تعد تستطيع الادعاء بان صراخ الطفل لم يؤثر فيها...وه...كم ستفتقد الطفل! إمتدت يد باتريك تمسك بيدها:

–اعلم...و هو سيفتقدك كذلك.

سالته و هي تبكي:

–هل سيفتقدني؟ حقا؟

فواساها بلطف:

–انا واثق من هذا. انت تقللين من قدرته على فهم حبك.

–لقد قالت السيدة بريد الشيء نفسه تقريبا.

–قلت لك إنها ممرضة قديرة.

فسحبت يدها من يده:

–اعرف انها قديرة...و طيبة...لكنها أخيرا ستتركه، فماذا سيحدث لفيليب عندها؟

-هذا قرار علينا معا القيام به عندما يحين الوقت.

بدت لوس انجلوس، كما هي دوما، مليئة بالدخان. لكنها مدينة جميلة احبتها سابينا بعد أن أقامت فيها سنتين...سرتها العودة إليها. فرمت نفسها بين ذراعي طوني عندما إستقبلها في المطار. سألها بتعاطف و هو يحيط كتفيها بذراعيه.

-كان الامر سيئا...هه؟

-جزئيا...هل لنا ألا نتحدث عن

الامر...ليس بعد طوني!

فضمها أكثر:

لا بأس حبي...فلنتحدث عندما تكونين على

إستعداد.

-قل لي كيف يسير العمل.

-كالعادة...أظنهم ينتظرون رؤية ردة فعلك

على توقيع عقد آخر قبل أن يقرروا ما

سيفعلونه بالشخصية التي تمثلين دورها.

فهناك شائعات تقول إنك قد لا ترغبين في الاستمرار.

هذه ليست شائعات طوني...لقد قلت بنفسي لجول قبل اسابيع.

– إنه قرار يخصك حبيبتي.

كان يروقها دائما لطف طوني و إبتعاده عن الخشونة و طريقته في إحترام آرائها و رغباتها...لكنها الأن بحاجة إلى مساعدة أكبر لتتخد قرارا مهما في حياتها. و مع ذلك لن تستطيع التحدث عن الامر مع طوني...

في اليوم التالي سافرت إلى منزل والديها...و صدمها وضع أبيها المريض، فرغم مغادرته المستشفى ما زال يبدو هزيلا ضعيفا فموت كيم صدمه أكثر منهم جميعا.

قال بصوت حزين و هو يجلس على شرفة المنزل:

-أريد رؤية حفيدي.

فقالت الوالدة بهدوء:

-سيمر شهران قبل ان يسمح لك بالسفر، هذا ما قاله الاطباء.

–و ماذا يعرفون؟

كانت أمها قوية قادرة على حمل عبء المسؤولية... و كانت مقوم بواجباتها على خير ما يرام. فتوسل الاب إبنته:

–كيف يبدو سابينا؟

اخبرت اباها ان فيليب يشبه الاطفال الذين يولدون قبل اوانهم ثم قضت نهارها تخبرهما عما يقوم به من اعمال صغيرة.

-يجب ان ينادى باسم فيل و ليس فيليب...نه إسم كبير على طفل (قال ابوها).

-إنه إسمك.

-بالطبع عائلة كيندل تتمسك بالاسم حرفيا.

-طبعا...فباتريك يصر على هذا.

فنظرت إليها أمها متفرسة:

-يجب ان اقول إنه كان دائما مؤدبا.

فقال زوجها:

-التأدب لا يكلف شيئا. خاصة بالنسبة لعائلتهم. يظنون انفسهم يملكون هذا العالم اللعين!... حسنا...نا اريد حفيدي هنا، حيث ينتمي. كان يجب ان تحضريه معك.

-ما زال صغيرا لا يقوى على السفر يا ابي...

-حسنا...حالما يكبر و يصبح قويا...اريده هنا.

فتجنبت سابينا نظره و عضت على شفتيها:

-قد يكون في هذا صعوبة ابي...اترى...

باتريك مصمم على حضانة الصبي.

-و من هو ليقرر مصير حفيدي؟ ما كان على كيم...

ثم اجهش بالبكاء فدهشت سابينا و تحطم قلبها من رؤية هذا الرجل الذي لم تعرفه إلا قويا باكيا...فهي لا تذكر انها رأته يوما يبكي حتى عندما مات والده منذ سنوات.

راقبت دموعه و أمها ترافقه إلى غرفة نومهما. و بقيت جامدة في مقعدها تفكر. فلما عادت والدتها بعد دقائق، قالت لها بلطف:

-خسارة كيم بهذه الطريقة كان صعبا عليه...و معرفته بوجود حفيد له يبقيه حيا.

جففت سابينا وجنتيها من البكاء:

- أعلم هذا...سأحضره حالما أستطيع.

-و ماذا سيقول باتريك كيندل عندها؟

أشاحت بوجهها عن أمها...باتريك سيوافق على إحضار الطفل إلى هنا على شرط واحد...و هي تعرف هذا:

– إنه...أظنه سيوافق.

إستمر ضغط العمل في الاسبوع التالي فلم تكد سابينا تجد وقتا للنوم فكيف لاتخاذ قرار يتعلق بما طلبه باتريك منها. إستمرت في الخروج مع طوني عندما كانت تسمح ظروف العمل... عشية عودتها إلى إنكلترا تناولا العشاء معا في بيته على الشاطئ حيث سألها:

-متى ستعودين هذه المرة؟

فابتسمت مسترخية بكسل على الرمال الذهبية تحت أشعة النهار المحتضرة.

-جول أمهلني أياما...لا أكثر.

قلدت صوت المخرج بنجاح:

-ثم عودي آخر اسبوعين من التصوير.

-و بعدها؟

-كنت آمل ان لا تسألني هذا.

-و لماذا لا؟

-لاني..لا اظنني ساعود بعدها.

لم يستطع إخفاء ذهوله، فقال مقطبا:

-لست أفهم... هل ستقضين في إنكلترا وقتا غير محدد؟

-هذا... ممكن... لست واثقة بعد.

فرد بصوت رقيق:

-أما من طريقة لاقنعك بالبقاء في لوس انجلوس؟ فمنذ وفاة زوجتي و انا اعيش في وحدة قاتلة. و قد ساعدتني الاشهر الاخيرة علا ملء الفراغ.

ضغطت على يده المستقرة على الرمل إلى جانبها:

- انا مسرورة بهذا. انت رجل رائع يا طوني...تستحق السعادة.

-لكن ليس معك؟

فهزت رأسها بحزن:

-لا اظن...لقد تمتعت بصحبتك، و احببت كل لحظة منها...لكن ربما هذا يشكل نصف المشكلة...فالحب ليس كله فرح...و قد

اظهر زواج كيم هذا...ما يسمون هذا في الكتب؟ عذابا و نشوة؟

–هكذا كانت حياتي مع زوجتي...

–و معي انا؟

إنها تعلم أنها لم تصل إلى القمة أو البداية مع طوني... فالتمتع بالصحبة لا يكفي...فقد اظهر لها باتريك ما هي النشوة على الاقل.

فأجاب مرتبكا:

–حسنا...انا...

–اعلم طوني أن لا شيء بيننا. لا بالنسبة لك أو بالنسبة لي... لقد مرحنا معا... فلنترك الامر على حاله.

–هل إلتقيت بالرجل هنا أم في إنكلترا؟ في إنكلترا طبعا.

–أي رجل؟

–من عرفك على عذاب النشوة...الرجل الذي وقعت في حبه.

فطغى الدم على وجهها:

-لم أحبه! باتريك كيندل ليس من أحبه..أقبل به لكنه ليس الحبيب.

لا...نها لا تحب باتريك...لكنها ستتزوجه... فالاسبوع الاخير الذي قضته دون فيليب اظهر لها انه جزء لا يتجزأ منها كأنما هي من أنجبته كما أن تجاوبها مع باتريك لا يمكن نكرانه...لقد إشتاقت إليه و إلى أحضانه و هي غائبة عنه. ثم...هناك ابوها... لن تستطيع تحمل إتحاماته إن خسرت فيليب.

الزواج إذن...هو الحل الوحيد...لكن مع بعض التغيير في الترتيبات التي إقترحها باتريك.

5-زوايا النسيان

عندما لامست الطائرة أرض مطار هيثرو تعظام توثرها و عندما إستقلت السيارة أحست بتوثرها يزداد و يتضاعف. ما من شك أن باتريك كان سيرسل سيارة، أو يحضر بنفسه لاستقبالها لو أعلمته بموعد وصولها. لكنها فضلت الوصول حسب إرادتها هي، و في الوقت المتاح لها. فهي لن تتخلى عن جزء صغر من حريتها و إستقلاليتها عندما تصبح زوجة.

لم يرحب بها الخادم الذي ابلغها أن ليزا كيندل في منزل إبنتها، و أن باتريك لم يصل بعد من مكتبه... على الاقل وجود ليزا خارج المنزل سيمكنها من التحدث إلى باتريك على حدة.

كان الطفل رائعا كالعادة، أمضت معه بعض الوقت...مذهولة بالتغيير الكبير الذي طرأ عليه خلال أسبوع واحد...و قد غرقت في مداعبته و ملاعبته حتى نسيت تغيير ملابسها للعشاء... لكن الخادم جاء ليقول:

-إتصل السيد كيندل منذ دقائق آنسة بيرنت، و كان ينوي قضاء ليلته في لندن. لكن عندما أبلغته بوصولك قال إنه سيعود في وقت ما هذا المساء... فاجتماع عمل قد يؤخره قليلا.

في الواقع، لم يتسن لهما اللقاء ليلتها، فبعد العشاء اللذيذ، جلست في غرفة الطفل بعض الوقت ثم إنتابها التعب فها قد بلغت العاشرة و باتريك لم يصل بعد... فدخلت غرفتها... و تهيأت للنوم الذي سرعان ما غلبها!

في الصباح التالي فوجئت بليزا كيندل في غرفة الطعام وحدها...فصاحت المرأة بها:

-ماذا تفعلين هنا؟

-كنت تعلمين أنني عائدة!

-اوه...أعلم. لكنني لا أفهم السبب؟ لماذا لا تتركين فيليب لنا و تتوقفي عن تقطيعه إلى نصفين؟ سيكرهك في النهاية لهذا السبب...أتعلمين هذا؟

ألا تعلم!...نه جزء من الاسباب التي دفعتها إلى إتخاد ذاك القرار، هذا عدا عما يجذبها إلى باتريك...

سألت لتغيير الموضوع:

-هل تناول باتريك فطوره بعد؟

-إنه ليس هنا... لم يعد ليلة أمس.

-إن الاجتماع أخره.

فسخرت ليزا بابتسامة خبيثة:

-إجتماع عمل؟ أهذا ما ذكره الخادم؟

حسنا...ما من شك في أن هذا ما أمره به باتريك...فهو لا يبقى في لندن للعمل...

فوقفت سابينا بعصبية:

-لو عذرتني...علي توضيب حقائبي.

-كم ستمكثين بيننا هذه المرة؟

-حتى الغد فقط.

-أعتقده سيعود قبل سفرك... و آمل عندها ألا نرى فردا آخر من عائلة بيرنت.

-لست أرغب في هذا النقاش.

فردت بمرارة:

-إبني أجابني بالرد ذاته خلال اسبوع كامل... و أعتقد أنه عندما سيكون مستعدا سيكلمني عما يقلقه.

قالت سابينا ساخرة:

-أنا واثقة من أنه سيفعل.

ثم ذهبت إلى غرفة فيليب حيث أمدت معه فترة الصباح كلها منتظرة عودة باتريك. فتلميحات والدته تشير إلى أنه كان مع إمرأة الليلة الماضية،لا في إجتماع عمل. أحست

بالغيرة تنهشها... ما أسخف ما تشعر به! لا تحب الرجل حتى و مع ذلك تغار لانها ظنت أنه قضى ليلته مع إمرأة أخرى!

سمعت صوت سيارته تقف عند الباب بعد الظهر. أسرعت إلى النافذة فرأته ينزل منها...في تلك اللحظة أحست بشيء ما يحثها على الركض إليه و على رمي نفسها بين ذراعيه! لكنها لم تفعل!

إلتفتت عند سماع طرقة عالية على باب غرفتها، فأذنت للطارق بالدخول، لكن

أنفاسها توقفت عندما شاهدت باتريك يدخل...أحست سابينا فجأة بالخجل، و هذا سخيف بالنسبة لفتاة في السادسة و العشرين من عمرها:

-كيف حالك؟ (سألته)

-أنا بخير...هل شاهدت فيليب؟

-أمضيت المساء و الصباح معه.

-لتتجنبي أمي؟

-نعم جزئيا...لكن رغبتي في البقاء معه كانت الدافع الاساسي.

-أعتذر من عدم مجيئي ليلة أمس. كنت في إجتماع عمل إستمر إلى ما بعد الحادية عشرة. و عندما إتصلت قال الخادم إنك نمت منذ ساعتين، فقررت البقاء و العودة اليوم.

-طبعا.

-هل أبلغك عن عدم عودتي؟

-كنت نائمة ليلة أمس كما قال لك الخادم... و أمك قالت هذا الصباح إنك لم تعد بعد.

فتنهد عميقا:

–حسنا... لننس هذا الآن. هل سنتكل الآن أم لاحقا؟

أربكها سؤاله المباشر، فنسيت كل ما حضرته من كلام حفظث عن ظهر قلب.

–أه...فيما بعد أظنك تفضل الراحة و الاستحمام الآن.

مرر يده على مؤخرة عنقه بتعب ظاهر.

–سأفعل... فقد مر علي وقت عصيب ليلة أمس. فأنا لم أذق نوما هنيئا في الفندق.

–فندق؟ هل أقمت في فندقليلة أمس؟

لم تكن تتوقع هذا... فهي إعتقدته نام في شقة تلك المرأة... إلا إذا...يا رباه...لقد خدعتها كلمات ليزا كيندل بسهولة!

–أجل... و لم آو إلى الفراش قبل الثانية...فثمة م?هكلة في إحدى شركاتي...علم بها الاتحاد العمالي، لكنه يرفض الاصغاء إلى وجهة نظري.

بعد أن كانت حمقاء أصبحت الآن فضولية لمعرفة سبب تأخره الحقيقي ف لندن. فقالت له بهدوء:

لكنني سأصغي إلى وجهة نظرك... أرجوك أن تخبرني.

فهز كتفيه:

– العمال هناك قلقون على الشركة فعندما تتمسك الاتحادات بأمر ما مثل هذا...لا يتركونه أبدا... و كان علي السفر إلى

الشمال، حيث الشركة، هذا الصباح لاطمئنهم... تبا للازعاج!

– و أنا ظننتك...لا عليك مما ظننت...نستطيع التحدث متى شئت.

– فيما بعد قد يناسبني...لكن أين ظننتني أمضيت ليلة أمس؟

– في لندن بالطبع.

– إنما لست وحدي...هه؟

عضت على شفتها:

– لا.

فارتفع رأسه بتعال و شموخ:

– لو امضيت ليلتي في لدندن مع إمرأة فلن أفعل هذا في السر...لكن الواقع أن لا عشيقة لدي...لا في لندن و لا في أي مكان أخر.

– آسفة.

–هل تريدين لائحة بعلاقاتي خلال السنوات الخمس الاخيرة؟

بدا غاضبا حقا لكنها لم تلمه.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-قلت آسفة باتريك...فالخادم قال إنك عائد.

لم ترغب في توريط أمه في الموضوع لذا أردفت:

-لا داعي إلى شرح عما إفترضته...أعتذر باتريك، و أتمنى أن نترك الموضوع على ما هو الان!

لن تخبره عما قالته أمه، إذ كان على تعقلها أن يمنعها من الاستماع إلى المرأة الحقود.

–حسنا...هذا ما سيكون. سأذهب لرؤية فيليب ثم أستحم...على أن نتحدث في مكتبي بعد العشاء.

كانت باردة، لكن مؤدبة مع المرأة العجوز خلال تناولهم العشاء...فقد إستنتجت من خلال نظرة ليزا كيندل المنتصرة أنها تعتبر نفسها قد سجلت نقطة إنتصار عليها هذا الصباح بزرعها بذرة الشك في عقلها... ربما نجحت مبدئيا... لكن سابينا في المستقبل ستعرف كيف تحذر من سم هذه المرأة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنها أحست بعيني المرأة تخرجان من محجريهما من الفضول عندما شاهدتهما ينسحبان معا إلى المكتبة... دون أن يقدم أي منهما تفسيرا.

جلس باتريك خلف مكتبه، نظر إليها باهتمام:

-هل إتخذت قرارا؟

هذه المرة كانت مستعدة لكلامه المباشر، فردت بهدوء:

-أجل... إتخذته.

لمع شيء في عينيه ثم تلاشى... تنهد و هو يقول:

-أفهم من هذا أن ردك "لا" فأنت ترفضين الارتباط بعقد يدوم مدى العمر.

وقف ليذرع الغرفة:

-عقد سيكون خاليا من الحب....

فقاطعته بصوت ناعم:

-لكنني لن أقول "لا" باتريك.

إلتفت بحدة ليواجهها و عيناه ضيقتان:

-لن يقولي "لا"؟

-لا.

-و لماذا لا؟

فابتسمت من دهشته:

-يمكنني القول إنك لم تسر كثيرا بقبولي عرض الزواج.

تخللت أصابعه في شعره الاسود:

-إنها إجابة لم أتوقعها...

-ألا تريدني زوجة؟

-طبعا...

-ألا تعتبر نفسك مجبرا؟

-لم أفكر بهذه الطريقة!

-إذن عليك التفكير الآن... فأنا أقبل عرضك باتريك. سأتزوجك.

كانت تتكلم برباطة جأش باردة جعلته يرفرف عينيه:

-متى؟

فهزت كتفيها:

-حالما ينتهي عقد عملي... كما أظن.

تحرك ليعود إلى الجلوس وراء مكتبه ثانية:

-حسن جدا... سأحضر الترتيبات كلها...

-لم أتم كلامي بعد... باتريك... فأنا سأقبل عرضك مع تغييرات محددة في الترتيبات.

ظهر عليه القلق:

-ما هي؟

فضحكت بنعومة ثم وقفت... كانت طويلة القامة، رشيقة القوام يدثرها فستان أخضر قاتم جعل شعرها يبدو لهبا مشتعلا و لون عينيها أزرق زمرديا.

-لا داعي إلى القلق باتريك. فلن أطلب منك التنازل عن ثروة العائلة لي.

-لكن من تمثلين دورها الشرير قد تفعل.

-إذا كانت تزعجك، أطمئنك أن دورها إنتهى. أول ما سأفعله هو ترك التمثيل بعد الموسم و قد وافق المنتج على حذف الدور.

-ستتخلين عن عملك؟

-أجل. على الاقل في الوقت الحاضر. ففيليب بحاجة إلى أم دائمة، و هذا تغيير آخر.

إرتد باتريك بكرسيه أمام نظرتها المتحدية:

-نعم... و ماذا سواه؟

-أريد الإعتناء بالطفل بنفسي، لا أرغب في مربية... فالسيدة بريد ستغادر قريبا، و أنا أعرف كيف أعتني بفيليب.

فقال بلطف:

-لا شك في هذا...كل ما في الامر أن العناية بطفل مسؤلية جسيمة..نه عمل يحتاج إلى أربعة و عشرين ساعة.

- و هذا ما سأحبه. سأعقد معك صفقة باتريك... بعد شهر، إذا ظننت أنني مقصرة فاستخدم مربية... كيف تجد هذا؟

تنهد ثانية:

-إن الثقة المنبعثة من إصرارك تؤكد أن الصفقة من جهتي خاسرة. حسنا أنا موافق إذا كان هذا ما تريدين!

-صح... و الآن أصل إلى أخر تغيير أريده.

-ثمة المزيد؟

-أجل... و هذا الجزء قد يكون الأكثر إحراجا.

جالت عيناه الباردتان في وجهها... ثم قال:

-فهمت... تفضلين عدم إقامة علاقات زوجية.

ثم تنهد مضيفا:

-أشك في أن الزواج سينجح دون هذه العلاقة... لكن...

-باتريك... لقد فهمت الامر خطأ... فدعك من القفز إلى إستنتاجات لا وجود لها.

-أسف!

فابتسمت:

–ها أنا أجادلك مرة أخرى؟

–أجل.

–لم أقصد الجدال للجدال. أردتك أن تصغي فقط إلي. أريدك باتريك... و أريدك بشكل يائس... لم أفكر في شخص أخر سواك منذ سافرت. أريد أن أكون زوجتك يا باتريك، لكن ليس ما تريد ءنت، بعض الوقت بك بل كل الوقت. أريدك أن تشاركني غرفتي نفسها لا أن تقوم برحلات عبر الممر، أو عبر

باب مشترك... فلو فعلت لإهترأت السجادة بين غرفتينا!

إبتسمت على دعابتها... فتنحنح:

-أنا... أنت...

فضحكت:

-لقد أحرجتك... أليس كذلك؟ أنا لم أقصد هذا أيضا. لكنني لم أحس بمثل ما أحس به من قبل... فأنا لم أرغب في رجل كما أرغب فيك لذا أريد أن أكون صريحة بشأن هذا الامر.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لست محرجا... ربما دهشا قليلا... هل شاهدت طوني خلال وجودك في أمريكا؟

–أجل.

–و لم يغير ذلك رغبتك في؟

–لا.

إستدار عنها ينظر إلى نار المدفئة:

–إن كنا سنكون صادقين، فعلي أن أقول إنني أحس بالرغبة نفسها... فقد حاولت أيضا أن أدفعها إلى زوايا النسيان في الأيام الأخيرة، لكنني لم أستطع. ما أحاول قوله إنني

أشاركك الرغبة، و إني أحب أن أحمي السجادة في مطلق الأحوال.

حاول بكلامه أن يريح الجو المكهرب بينهما، لكنه لم ينجح. فالتكهرب ولد نار بينهما...

فناداها متأوها:

–سابينا...!

دخلت بين ذراعيه بكل إرادتها...تتلقى ظمأه و جوعه إليها بظمأ و جوع مماثل. فضمته و لمسته بحرارة كما كان يفعل بها. فقال متأوها:

–أتأتين معي إلى غرفتي الآن؟ فأنا بأمس الحاجة إليك.

أرادت هذا... فليس هناك ما هو أفضل من قضاء الساعات بين ذراعيه...لكنها تراجعت عن ذلك الالتزام النهائي... إذ تريد أن تكون ليلة عرسها الليلة الأولى التي تتعرف فيها إلى حبه.

أحس بترددها فتراجع، و إحمرار الرغبة على جههو:

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا؟...هل أنت كبقية النساء؟ لقد إعترفت برغبتك و إجتذبت إعترافا مماثلا مني... لكنك لن تتمكني من السيطرة علي برغبتي فيك سابينا. ما من جسد إمرأة يستحق أن يفقد الرجل إحترام نفسه من أجله أو سيطرته على نفسه.

دفعها بعيدا عنه... كان يتحدث بمرارة داخلية سببت لسابينا الألم... هل يتكلم عن تجربة شخصية؟... الأن عرفت بسس إنطوائه و العزلة و تحفظه! لا بد أن إمرأة في ماضيه

إستخدمت جسدها لابتزازه! الزمن وحده سيظهر له أنها ليست هكذا.

سمعته يقول ببرود، و قد إبتعد عنها:

- أقبل بشروطك سابينا. سأبلغ والدتي بزواجنا في الصباح.

مدت له يدها، لكنه تجاهلها:

-لدي بعض الأعمال حاليا.

-سأتحرر من كل إلتزام في أمريكا بعد أسبوعين... و أنا...

-هل يشمل هذا طوني؟

-طبعا... فأنا سأكون زوجة وفية باتريك. أما أنت فلك أن تفعل ما تشاء.

كانت يداه قاسيتين على ذراعيها و هو يديرها نحوه قائلا بشراسة:

-سأكون وفيا لك حتى تتعبي في النهاية من كونك زوجة و أما. فتبدئين في التفتيش عن تسلية أخرى.

رفعت سابينا رأسها بكبرياء. و قالت بلهجة لاذعة:

-لا أعتقد أن هذا سيحدث.

-سنرى.

-متأكدة أننا سنرى... سأتركك الان إذا كان لديك عمل، و سأسافر بعد ظهر الغد...أعتقد ان أمك ستصاب بالاحباط عندما تعرف أنني عائدة لأعيش هنا هذه المرة.

-واثق مئة بالمئة أنها ستصاب بالجنون عندما أبلغها.

-لا تبدو مكترثا.

فقال بعجرفة:

-إختيار عروسي، لا شأن لأحد فيه، إنه شأني الخاص. سأتزوجك بعد أسبوعين من الان، مهما قالت.

-أي حالما أعود؟

-و هل لديك مانع؟

-أبدا... فوالدي لن يستطيع السفر في أي وقت قد نتزوج فيه.

-نتزوج في بلدك إن شئت.

-أو تفعل هذا؟

-إذا كانت هذه رغبتك.

-لكن فيليب...

-لن يكون في شهر العسل...ستبقى السيدة بريد لتعتني به إلى أن نعود.

-و هل نحن ذاهبان في شهر عسل؟

-هذه هي التقاليد...قد فكرت بجزيرة في الكرايبي، نزور في طريقنا إليها أهلك. أتفضلين هذه الفكرة؟

سيتضاعف كره ليزا كيندل لأنها قتحرمها من متعة زواج إبنها الأكبر في بلاده. فقالت:

-أظنها أفضل من الأولى.

-حسن جدا.

لم تكن برودة أساريره مشجعة، لكنها تقدمت منه فوقفت على أطراف أصابع قدميها و قبلته على خديه، متمتمة:

-تصبح على خير باتريك...سأجعلك سعيدا.

لم يرد... بل إتجه ليجلس على كرسيه، ففتح حقيبته و كأنه ينهي به هذا الحديث.

ما حدث قد حدث. فقد وعدته... ربما بعد عشرين سنة... عندما تبقى لمسته تذيبها و

عندما يرى أنها لا تطلب منه شيئا لا يريد أن يعطيه... سيصدق أنه وحده، و وحده فقط، من ترغب فيه.

لم تكن سابينا قد خرجت من سريرها بعد عندما عصفت ليزا كيندل إلى داخل الغرفة... ففضلت بحكمة ان تبعد فنجان القهوة من يدها لئلا تدلقه المرأة في فورة غضبها! رأت أن لا حاجة لأن يخبرها أحد أن باتريك أخبر أمه عن زواجهما!

-إذن أنت أكثر خبثا مما ظننت و تستحقين تقديرا عليه!

-أعتقد أنك لست سعيدة بالزواج؟

-سعيدة؟ من الواضح أن الزواج سيكون في مصلهة فيليب. فقد كان ولدي غبيا عندما فكر في إقتراح الصحافة... و أنا سوف...

فقاطعتها سابينا بحدة:

-لا غباء فيما يفعله باتريك سيدة كيندل! سأنجح هذا الزواج.

-أنت لا تحبين إبني...

لمعت عينا سابينا و هي تقاطعها مجددا:

-أنا أهتم به... و هذا له أهمية الحب نفسه... باتريك رجل عظيم... و سأكون فخورة به زوجا.

-لن يحدث و لو على جثتي!

فالتوى فم سابينا بسخرية:

لا بأس... إذا كان هذا ضروريا.

-لن أقبل بك عضوا في عائلتي...

-و لست شديدة السرور لأنك أنت أحد أفرادها.

بدأت سابينا ترد الاهانة بالاهانة...

–و لكن ليس لدي خيار أخر بالنسبة لأقرباء زوجي... و الأن لو سمحت... أريد أن أرتدي ملابسي.

–لكنني لن أسمح. لن أقبلك أبدا زوجة لباتريك.

–لا يهمني قبولك من عدمه أبدا.

فاستشاطت العجوز غضبا و أخدت تصيح:

–ستندمين على هذا سابينا!

–لا أظن.

-لن تكوني أسعد مما كانت عليه كيم!

-أوه...لكنني سأجد السعادة. أترين، أنا أعلم منذ البداية مدى حبك و شغفك للتدمير فأنت لا تكذبين لتحقيق أهدافك.

-أتتحدثين عن الليلة التي قضاها باتريك في لندن؟

-تعرفين هذا. و لن أقع في فخ أكاذيبك بعد الأن. لأنه كان يعمل و كنت تعرفين هذا جيدا.

-صحيح؟

-أجل!

-هل قال لك إنه كان يعمل؟

-صحيح... و أنا أميل إلى تصديقه أكثر منك.

-إذن أنت غبية!

-لا...بل أنا أثق بالرجل الذي سيصبح زوجي.

إحمر وجه ليزا كثيرا من الغضب و اصبحت في حال يرثى لها:

-كلاكما مجنون! لن ينجح زواجكما.

-لكنه سينجح!

-سأذكرك بهذا عندما تفقدين صبرك فترحلين.

ردت سابينا بصوت ناعم ساخر و هي تغادر الغرفة:

-هذا لن يحدث أبدا.

لم يكن الشجار أسوأ مما توقعته... كانت تظن أن المرأة العجوز سترمي بتعليقات بذيئة ضد كيم كذلك... و ما من شك في أنها ستفتعل

مشاكل عديدة لتخلفها مع باتريك، لكنها ستتجاهلها و ستتجاهل مفتعلتها.

-لماذا لم تخبريني؟

إلتفتت بذعر فرأت باتريك، و سرعان ما أحست بشفافية ثوب نومها. و ذلك يؤكد أنه يشاهد الأن جميع حنايا جسدها.

دون إستعجال وضعت الروب فوق ثيابها:

-أخبرك بماذا؟

-بشأن كذب والدتي حتى تتعثر علاقتنا.

فهزت كتفيها:

-لم أشأ إفتعال خصام غير ضروري بينك و بينها.

-غير ضروري؟ والدتي حقود تحب الانتقام. إن أعادت الكرة ثانية أخبريني فورا!

-أجل باتريك.

و إبتسم:

-و لا تحاولي الاستمرار في التمثيل علي... فبعد ما سمعت ما قلته لأمي لن أصدقك.

-و كم سمعت منه؟

-كل الحديث... كنت أتيا لأودعك عندما شاهدت أمي تدخل غرفتك... و بعد سماع أول دفاع عني لم أستطع منع نفسي من التصنت... بدوت شديدة واثقة جدا من أن زواجنا سينجح يا سابينا.

فتحركت إلى ذراعيه:

-أنا واثقة... فكل ما نحتاجه هو الصراحة التامة بيننا.

فربت خدها:

-و هذا يشمل إخباري بما تفعله عائلتي بك. أنا لا أشك في أن روزي ستؤازر والدتها... و ستحاول طعنك بخناجر من لسانها السليط.

-لن يهمني. كل ما أريده...أنت...و فيليب.

-الترتيب نفسه دئما؟

-هذا ما لا أستطيع إختياره. فأنا أعتبره ولدي... و أنت والده. و ما من إمرأة تستطيع الاختيار بين إبنها و زوجها.

هز رأسه متمتما:

-لقد أعجبت بصراحتك المباشرة منذ البداية... لكن عندما تمسني هذه الصراحة تتوثر أعصابي.

-ستعتادها تدريجيا.

- أشك في هذا... و الان وداعا...علي الذهاب.... سأعود بعد الظهر لأصطحبك إلى المطار.

- لا حاجة لهذا.

- إنه يعجبني.

فضحكت:

-بدأت أشعر أنني لا أحب الوداع. لكنني أفضل أن تستقبلني أنت عندما أعود، هذا إذا تسنى لك الوقت.

-سأخلق الوقت... هل أنت متأكدة أنك لا تحتاجين إلى من يوصلك بعد الظهر إلى المطار؟

-بالتأكيد.

في الأسبوع الأول بقيت مشغولة جدا في التصوير؟ فتصوير المسلسل لهذا الموسم يكاد ينتهي، و الجميع يعمل بسرعة.و في نهاية

الأسبوع قصدت والديها لتعلمهما بقرار زواجها.

قطب والدها قائلا:

-لكنك لا تكادين تعرفين الرجل. فكيف ستتزوجينه؟

-هذا ما أريده.

-ابسبب فيل؟ لن أسمح لك بالتضحية بنفسك، من أجل أي شيء و إن كان حفيدي.

-لا أنكر أنني جزئيا أتزوجه من أجله...لكن بشكل أساسي أتزوجه لأنني أنا أريده.

- هل تحبينه؟

- أنا....

فقاطعتها أمها بصوت هادئ:

- هل تحبينه سابينا؟

و طال صمتها تفكر ما هو الحب و ماذا يعني، فأعادت أمها السؤال:

-سابينا؟

فابتلعت سابينا ريقها و قد إكتشفت إكتشافا هاما...لا تريده جسديا بل تريده كما تريد العاشقة المهبة الرجل الذي تحب...

أجابت بثقة:

-أجل...أجل أنا أحبه.

عندما شاهدته ينتظرها في المطار بعد أسبوع. لم تستطع كبح مشاعرها...فركضت ترمي نفسها بين ذراعيه، رافعة خدها إليه ليقبلها:

-أوه...كم إشتقت إليك.

-أنا... فيليب كان ينتظرك على أحر من الجمر.

تعلم أنها لن تستطيع توقع الكثير منه في وقت قريب، فابتسمت:

-هذا رائع!...عانقني باتريك.

-هنا؟ و نظر حولهما قلقا.

-أجل هنا!

ثم بتنهيدة مخنوقة إحتضنها ليقبلها... و يقبلها... و كأنما لا يريد التوقف عن عناقها أبدا.

6–عذراء الجزيرة

ثلاثة أيام...بعد ثلاثة أيام و يصبحان زوجا و زوجة...و هذا ما لم تفكر فيه منذ شهر.

لكن كيم كانت حية قبل شهر من الأن.

كانت مشغولة جدا في الأسبوعين الأخيرين، حتى أن حادثة تحطم الطائرة تراجعت إلى

زوايا تفكيرها...لكنها الأن عادت بعنف...
مما جعلها تحس بالضعف و الأرتجاف.
سألها باتريك و هما في غرفة الجلوس، بعد أن
لاحظ شحوبها:
- ما الأمر سابينا؟ هل غيرت رأيك بشأن
الزواج؟
-لا...لكنني تذكرت كيم فلولا موتها...
-لا تفكري بهذه الطريقة. انك دون ريب
تعبة...فاستريحي الأن... و سنتحدث فيما

بعد... كنت أريد الخروج معك للعشاء... لكن...

- أوه... كنت سأحب فكرتك... لكن يجب أن أستلقي حتى أستعد بعدها للخروج.

فرد باتريك بعومة:

-ستقضي أمي بضعة أيام عند إبنتها...و لقد أعلمت الخدم بأمر زواجنا...ظننت هذا أفضل.

-صح...خاصة بعد إنتقالي إلى غرفتك.

-لكنك لن تنتقلي.

- باتريك...

-سنتحدث عن هذا فيما بعد...

بعد أن أمضت قليلا من الوقت مع فيليب، تمكنت سابينا من الاغفاء في غرفتها مدة ساعتين، مع أن قول باتريك أنها لن تشاركه الغرفة أزعجها. لقد ظنت أنهما سويا الأمر قبل عودتها إلى أمريكا...حسنا،مهما قد إتخذ قرار في غيابها، فلن تقبل به لأنها لن ترضى بزواج غير مثمر، فهي تريد لفيليب أخوة و أخوات... و غلبها النوم و هذه الفكرة في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذهنها، فعلت شفتيها إبتسامة و كأنها تتصور نفسها تحمل طفل باتريك بين ذراعيها.

ذلك المساء، إرتدت ملابسها بعناية،فشاهدت الاعجاب يقفز من عيني باتريك عندما إنضمت إليه في غرفة الجلوس ثانية. تقدم نحوها و أمسك بيدها.

–تبدين رائعة الجمال! لدي شيء لك.

–لي أنا؟

فابتسم لردها المتحمس:

–أجل.

دس يده في جيب سترته فأخرج علبة صغيرة ليكشف عن خاتم ذهبي أنيق تتوسطه ماسة رائعة ضمن دائرة من الزمرد.

-خاتم الخطوبة...ذا أعجبك...و إذا لم يعجبك...

-طبعا يعجبني...أنت إخترته، بالطبع سأحبه، إنه جميل! ضعه في إصبعي.

كان واسعا قليلا لكن لا إلى درجة السقوط من إصبعها.

-سأرسله ليصغر و ذلك أثناء شهر العسل.

-أوه...ليس الأمر مهما!

-أتريدين خسارته؟

-حسنا... لكنه سيبقى في يدي إلى أن تضع لي خاتم الزواج مكانه. و أريده من الذهب فقط.

ضحك و هو يفتح باب السيارة لها:

-عندما لا تفقدين أعصابك تبدين مرتبكة.

ل

-كنني لا أخطب كل يوم سيد كيندل!

- صدقي أو لا...و أنا كذلك.

قاد سيارته ببراعته المعهودة. فتابعت أسئلتها:

-ألم تخطب من قبل؟

-لا و ما

-تزوجت؟

-لا

-لم أكن أعرف...فتملكني الفضول.

-حسنا لا تكوني فضولية، فأنا لم أخطب، أو أتزوجِ، و لم أنخرط في علاقة جدية فترة طويلة.

-و لا أنا

-صحيح؟

نظرت إليه بحدة فتساؤله لم يرقها.

-لن أجادلك الليلة ليس بعد خطوبتنا مباشرة.

-و لماذا قد ترغبين في مناقشتي؟

-لأني أظنك أهنتني.

-أنا؟

- أجل أهنتني...لكنك سترى يا باتريك...أنك مخطئ في ظنك بي...مخطئ!

فتنهد عميقا:

-هل أنا مخطئ؟ أشك في هذا. لكن كما قلت، فلنبتعد عن الجدال الليلة. و أرجو أن يعجبك المطعم الذي إخترته.

-أنا واثقة أنه سيعجبني!

-لا تغضبي مني سابينا، إن أمامك هو خمسة و ثلاثين عاما من الشكوك و السخرية.

فلمعت عيناها تحديا:

-و أمامك ستة و عشرون سنة من الاستقلال و الصدق و الشرف، ستتعامل معها!

فلمس خدها بنعومة:

-سأنجح!

-و كذلك أنا!

كان المطعم مزدحما، لكن سرعان ما قادهما خادم إلى أفضل طاولة في المكان... طاولة منعزلة في إحدى زوايا المطعم... كان طراز المطعم قديما كأنه نزل ريفي لكن الخدمة كانت حميمية و ودودة و الاضاءة خافتة.

بعد جلوسهما قالت:

-يعجبني المكان.

– هذا ما رجوته. لم التوتر؟

–لأنني حساسة. و لا أقصد فقد أعصابي...

–ماذا فعلت بي سابينا بيرنت؟ لم أشارك قط بمثل هذا الحديث.

–لكنك لم تكن على وشك الزواج من قبل... قلت اليوم أنني لن أشاركك غرفتك.

فهز رأسه:

–بل قلت إنك لن تنتقلي إلى غرفتي في هذا المنزل...لقد فكرت في الانتقال إلى منزل خاص بنا.

-منزل خاص؟ هل تعني أن تشتريه لنا؟

-طبعا.

- لنا نحن الثلاثة فقط؟ نحن و مدبرة منزل و خادمة أو إثنين. لا أظنك ستعترضين على وجود من يطبخ و ينظف بينما أنت تعتنين بفيليب؟

-لا...لكن أمك؟

- لم تعجبها الفكرة.

-لماذا إذن...

- أنا لا أتزوج لأرضي أمي!

كشف بهذا عن الضغوطات الشديدة التي تعرض لها خلال أسبوع غيابها ليعدل عن الزواج منها...

-أذكر تماما المشاكل التي قلت أنها واجهتك... و شراء منزل خاص بنا سيحل مشكلتين منها. أولاها ألا تواجهي أمي كثيرا و ثانيها ألا تعيشي معها في منزل واحد. لقد إخترت أن نبقى جميعا في إنكلترا، فهذا أقل ما أقدمه لك...لكن ثمة مشكلة لا أقدر على حلها.

إنه يعني انهما لا يحبان بعضهما بعضا!

بلى...نها تحبه! و ستفعل المستحيل ليحبها.

-أخبرني المزيد عن شراء المنزل.

- أعجبتك الفكرة؟

-بل أحببتها! لكن على ألا يكون بعيدا عن أمك...حتى تستطيع زيارة فيليب عندما ترغب.

-يا لنبل اخلاقك!

- إنها جدته.

تناولا وجبة ممتعة. وكان قد مضى وقت طويل منذ أن تمتعت بوجبة كهذه بل ربما لم تتمتع قط بمثلها، لأنها لم تكن واقعة في الحب من قبل.

ما إن عادا إلى المنزل حتى سألها:

-أتتناولين شيئا يساعدك على النوم؟

كان المنزل صامتا فقد آوى كل الخدم إلى مخادعهم... و يبدو أن لا وجود لليزا كيندل الليلة لتنتظر وصولهما...و هذا ما جعلها سعيدة...

لحقت به إلى غرفة الجلوس حيث تركت النار مشتعلة حتى عودتهما، فأمسيات أيلول بدأت تبرد.

–أمضيت أمسية سعيدة يا باتريك.

–و أنا كذلك.

بدا و كأنه أجبر على الاعتراف فأردف:

–علينا أن نسهر في الخارج دائما بعد الزواج... و لا أظنك ستعترضين على ترك فيليب في عهدة مدبرة المنزل، في بعض الأمسيات؟

-أبدا... فعندها سأكون زوجتك، لا أم فيليب فقط. هل سنتبناه إبنا لنا باتريك؟

-هذا ما أفكر فيه.

-أظن أنه عندما يكبر و نخبره الحقيقة عن والديه سيقر أننا فعلنا المستحيل لنحتفظ به دون أن يكون عبئا علينا، خاصة بعد أن يصبح له أخوة و أخوات.

رد بصوت منخفض:

-أخوة و أخوات!

-أجل...لطالما حلمت بعائلة... أنا و كيم...

بدا الحزن على وجهها و هي صامتة، فالتفت ذراعه حول كتفيها:

-لا بأس عليك...فأنا كذلك ما زلت أشعر بألم فقدهما.

فدفنت رأسها في صدره.

-أسفة... لم أشأ إفساد أمسيتنا.

-لم تفسديها...أنت إمرأة مهبة دافئة تهتمين بالناس، و اظن أن فكرة العائلة رائعة. على كل الأحوال، لي فيها حتى الأن أفضل قسم.

-أتظن هذا؟

-بل أكيد.

ضمها بحنان و تمتم هامسا:

-ليس في البيت غيرنا سابينا.

فتصلبت... و عاد إليها إتزانها فتأثير السهرة و العواطف زالا تماما... تحركت مبتعدة عنه و هي تضحك:

-لسنا وحدنا تماما...فهناك الخدم...

-إنهم في جناحهم الخاص.

-لكننا سنتزوج بعد ثلاثة أيام. باتريك...و أنا تعبة الليلة.

فالتوى فمه ساخرا و إبتعد عنها:

-لقد إستخدمت هذا العذر من قبل. ماذا سيحدث فيما بعد؟ هل ستتذرعين بالصداع؟

-أظنك تهينني...

–صدقيني... لقد سبق و قلت لك لن تستطيعي السيطرة علي عن طريق الجاذبية الجسدية التي أحس بها نحوك.

–لكنني لست...

أمرها بخشونة:

–إذهبي إلى النوم سابينا. قلت إنك تعبة...فاذهبي.

–باتريك!

– إذهبي!

– وهل سنذهب غدا للتفتيش عن منزل؟

–إذا أردت هذا.

–أريده... باتريك؟

لم يلتفت:

–نعم.

فتنهدت:

–ليتني أستطيع التفسير لك... لكنك ستفهم سبب ترددي فيما بعد.

–أنا أفهمه....كلما أبقيت الرجل منتظرا جسدك رغب فيك أكثر... هذا هو منطق النساء!

كان إختيار المنزل سهلا جدا في الصباح التالي... فلباتريك ذوق ممتاز، و لهما أيضا ذوق مشترك فاختيار المنزل ذو الستة غرف الملكي الطراز، كان إختيارا مشتركا.

أحبت سابينا المنزل لأنه أقرب إلى الريف من منزل العائلة. فيه إسطبل و عدة جياد... و الجياد أحبتها منذ الطفولة...أما الحديقة فكانت كبيرة ستحب الاعتناء بها بنفسها، بمساعدة فيليب عندما يكبر... و فيها بركة سباحة عائلية صغيرة خلف المنزل.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت باثارة و هما عائدان إلى المنزل بعد توقيع المعاملات القانونية للشراء:

-سأعلم فيليب السباحة.

كان منذ الصباح باردا تجاهها... لكن مع تقدم النهار بدأ يتغير و ها هو يرمقها مبتسما الان:

-لا يمكنه التركيز بعد. أعطه فرصة مع كل هذه النشاطات التي تنوين القيام بها...الركوب... العناية بالحديقة...و

بفيليب، تعليمه السباحة... خيف ستجدين الوقت لمزاولة مهنتك.

-سأنتظر حتى ذهابه إلى المدرسة.

-لكن الجمهور عندها سينساك.

-ربما سيكون لدي أطفال أخرون أهتم بهم.

- لا أدفعك إلى العمل. لكنني لا أحب أن أكون ثاني إهتماماتك و لا تعجبني كثيرا فكرة خروج زوجتي للعمل. لو كانت ظروفنا عادية لمنعتك عن العمل... لكنك تتزوجينني

بسبب فيليب...بسبب إحساسك بالمسؤولية نحوه.

فردت متحدية:

–و لأنني أريدك كذلك.

أرجو أن تسامحيني إن شككت فيه...فلا برهان لدي مؤخرا. معظم النساء يجدن العلاقة الجسدية مثيرة للاهتمام إلى أن يضعن الخاتم في أصبعهن ثم لا يعدو أن يصبح ذلك لهن مثل عقد الصفقات.

–أنت شديد السخرية.

-تعلمت أن أكون ساخرا و الرجال يتعلمون مع الوقت.

عادت ليزا كيندل إلى المنزل صباح يوم الزفاف... مدعية بتعال أنه بعد إصرار باتريك على هذا الزواج السخيف لم يعد أمامها إلا تقديم دعمها المعنوي. فما كان من سابينا إلا إبتسمت لأن باتريك لا يحتاج إلى دعم أحد، خاصة دعم أمه!

دخلت روزي فريستون غرفة سابينا و هي ترتدي ثوب زفافها:

-بيض أ اللون؟

فنظرت سابينا إليها غاضبة من سخريتها و ردت بكبرياء:

-يحق لبعض النساء إرتداء الابيض.

-أعلم... كان لي الحق.

-و أنا كذلك.

- أشك في هذا. و يجب أن أقول إنني دهشة من غباء باتريك. كنت أظنه دوما عاقلا. و لماذا تريدين السكن في منزل

وحدك؟ هذا المنزل كبيرا يكفي عشر عائلات!

نظرت إليها سابينا بعينين خضراوين قاسيتين:

-أنا و باتريك... لن نرتكب غلطة تشارلز و كيم... و لماذا لا تنتقلين و زوجك إليه؟

-لأن أمي ستأكله حيا.

فالتوى فم سابينا ساخرة:

-أشك في أن يكون لها التأثير نفسه... لكنني أستغني عن تعليقاتها اليومية الشريرة.

-هل تحبان بعضكما؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-هذا ليس من شأنك اللعين!

-لقد شاهدته ينظر إليك... و هذا يفسر جنونه.

-و لكن باتريك لا يعتقده جنونا.

- و لا أظنك أنت كذلك تعتقدينه...فرأسمالك في عملك جسدك و جمالك، وهو لن يدوم طويلا... لكن الزواج من رجل ثري يعني أنك لن تخسري أبدا، فان إستمر الزواج ستعيشين عيشة فاخرة...و إذا

فشل تحصلين على تسوية مالية دخمة... أنت ذكية ككيم...بل ربما أدهى.

راحت يد سابينا تتحرك من تلقاء نفسها، تطير ببطء في دائرة حتى تصطدم بوجه روزي فريستون التي شهقت و إرتفعت يدها إلى موضع الصفعة الأحمر ثم حدقت فيها مذهولة و قد أطلت الكراهية من عينيها و إلتوى فمها بعنف، و رمت بالكلمات:

– ستندمين على هذا سابينا!

إضطربت سابينا لفقدانها أعصابها، لكنها رفضت أن تترك روزي فريستون تلاحظ هذا.

فردت بهدوء:

-لا أظن هذا!

لن تسمح بأن تهان كيم في زفافها هي!

هبطت يد روزي عن وجهها إلى جنبها...

فقالت بغضب:

-لكنك ستندمين... و هذا ما سأتأكد منه!

إرتدت على عقبيها و خرجت عاصفة من الغرفة.

لم تعد سابينا قادرة على السيطرة على ارتجافها. فجلست على حافة السرير...تتنفس بعمق... لولا حبها البائس لباتريك لدفعتها كراهية عائلته إلى الهرب بعيدا...مع فيليب أو بدونه...خاصة بعد أن جعلت من روزي فريستون أكثر من عدوة اليوم...و هذا يعني أن عليها مراقبتها عن كثب.

لكن لم يكن من دليل على عدائية تلك المرأة أثناء ذهابهم إلى مكان عقد الزواج. بل

الواقع أن تصرفها السعيد كان بديا أكثر من كراهيتها التي أظهرتها...و هذا ما يدعو للقلق.

لم يكن هناك ضيوف كثيرون أثناء عقد القران...لكن في حفلة الاستقبال التي جرت في المنزل فيما بعد، كان اكأمر مختلفا... فقد إعتبرت ليزا كيندل أن من واجبها دعوة أقارب و أصدقاء العائلة إلى حفلة زفاف إبنهى الأكبر، حتى و إن كانت ترفض العروس.

كان العروسان ينويان قضاء الليلة الأولى في لندن، على أن يستقلا الطائرة إلى أمريكا في اليوم التالي...ليقضيا ليلة عند أهلها قبل السفر إلى الكاراييي حيث سيقضيان شهر العسل في جزيرة باباروست ثلاثة أسابيع... و لم تكن سابينا تطيق الانتظار حتى يصبحا حدهماو.

و كأنه أحس بما تفكر فيه فسألها:

-ماذا جرى مع روزي؟ لقد خرجت من غرفتك و كأنها قد ضربت.

فاعترفت سابينا ببساطة:

-أنا ضربتها. أهانتني فضربتها.

-ألا تعرفين أن على الزوجات ترك أزواجهن يدافعون عنهن؟

لم يظهر إكتراثا أو إهتماما لأنها ضربت أخته... فابتسمت إرتياحا:

-لم تكن زوجي وقتذاك.

-لكنني زوجك الأن...فإن تعرضت إلى إهانات أخرى... أخبريني و سأتعامل أنا معها بطريقتي الخاصة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم يكن لديها شك في هذا... لكن... بما أنها دائما مستقلة تجد من الغريب التفكير في أن هناك من تعتمد عليه، كمن يساعدها على خوض معاركها. لكن الامر الأن ذو إتجاهين، فعيها كذلك أن تساعده في كل شيء.

كانت حتى حان وقت مغادرتها بعد الثامنة، تحس بصداع رهيب، فقد إلتقت بالعديد من أقاربه، و تبادلت التعليقات الاذعة مع ليزا كيندل في أحاديث عديدة مزدوجة الحد، حتى باتت لا تستطيع التفكير السوي. و

طوال الوقت كانت تحس بنظرات روزي فريستون نحوها، و كأنها تعرف شيئا لا تعرفه سابينا، لكنها غير مستعدة بعد لافشاءه...ما زاد الامر سوآ وداع فيليب و التفكير في الابتعاد عنه ثلاثة أسابيع.

لكنها لم تذكر صداعها أمام باتريك. متذكرة بوضوح سخريته من إختراعها الصداع بعد الزواج للتهرب منه، لكنه سألها و هي ملقية رأسها لتريحه علا مؤخرة مقعد السيارة:

–تعبة؟

– قليلا.

فأمسك بيدها:

–نتناول الطعام في جناحنا إذا أحببت.

الطعام!... يا إلهي... التفكير بالطعام جعلها تصاب بالغثيان... لكنها إضطرت للرد بضعف:

–أنا... عظيم.

ثم أغمت عينيها لتريح ألم الرأس مدعية النوم...و لم تدر متى تحول الادعاء إلى

حقيقة. لكنها فجأة أحست بباتريك يهزها بلطف ليوقظها، و يقول بلطف:

-وصلنا الفندق. هل أنت أحسن حالا؟ أذهب الصداع؟

فجلست سابينا، متسعة العينين:

- أكنت تعلم؟

-كنت شاحبة، و كان الضوء يزعج عينيك فعلمت بصداعك. لا تخافي مني سابينا.

-لست خائفة... لكنني لم أرغب في المزيد من الاتهامات و لقد زال الصداع الأن...

فلمس ذقنها بنعومة:

-تلك الليلة كنت أعاني من ذلك المرض الرجولي المشترك. خيبة الأمل. و إذا كان رأسك يؤلمك حقا فالخير لك أن تنامي باكرا... وحدك!

جعلتها رقته، و تفكيره السليم، بعد توتر اليوم، تبكي. فقالت مختنقة:

-لقد زال الصداع حقا باتريك.

- ألا تفضلين النوم باكرا وحدك؟

فابتسمت:

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-ليس لدي إعتراض على النوم باكرا... لكن على النوم وحدي لدي ألف إعتراض.

خرج من السيارة ضاحكا فتقدم منه بواب الفندق يفتح باب سابينا.

-سنبحث هذا بعد العشاء.

كان لباتريك القدرة و العظمة للحصول على أفضل الخدمات أينما ذهب. فبعد خمس دقائق من دخوله الفندق، كانا و حقائبهما في الطابق الأعلى في جناح العرائس الفخم.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان العشاء مرحا و خفيفا... لكن سابينا لم تكن تحس بما كانت تأكل. فقد كانت تتمتع بصحبة باتريك أكثر من تمتعها بالطعام.

عندما شبعا جلسا في غرفة الجلوس الملحقة بغرفة نومهما فقل بخبث:

–و الأن ماذا عن النوم المبكر.

–مبكر؟ إنها الحادية عشرة.

– إنها ساعة مبكرة في لندن.

–علي أن استحم!

–طبعا... و أنا سأستخدم الحمام الأخر.

تريثت في الحمام ثم لما خرجت رشت جسدها بالعطر... لكن الغلالة البيضاء الرقيقة لم تخف شيئا من حنايا جسدها.

ظنت بعد دخولها غرفة النوم أن باتريك ما يزال في الحمام، لكنها بعد قليل، و في الاضاءة الخافتة، لاحظت حركة قرب النافذة. فدنت منه لتتأمل آلاف الأنوار المتلألئة في الجزء الظاهر لهما من المدينة. إلتفت إليها مان شعر بوجودها، فعلقت أنفاسه في حلقه لمرآها الخلاب و نظرت

سابينا إليه بعينين خضراوين لا تعرفان الخوف...لكنها بللت شفتيها بطرف لسانها...فتمة ما عليها قوله قبل الزواج.

-هل لاحظت أنني إرتديت الأبيض اليوم يا باتريك؟

فهز رأسه، و ضاقت عيناه:

- أجل لاحظت هذا.

-أنا... إرتديته لسبب محدد.

-ما هو؟

سارعت لتتكلم قبل أن تفقد شجاعتها.

فسخريته تجعل كلامها صعبا.

– عندما كنت و كيم صغيرتين... كنا نتحدث كثيرا عن زواجنا. و قطعنا وعدا... وعدا حافظنا عليه.

أحست به يتوتر:

–نعم؟

–باتريك... أريدك أن تعلم أن عروسك... عذراء

فضاقت عيناه و إشتدت يداه على ذراعيها حتى آلمتها:

-عذراء؟

- نعم... و العذارى نادرات في أمريكا كما تعلم!

-لا تمزحي سابينا... فالأمر جدي. فهل تقولين الحقيقة؟

-فسخرت منه بمرارة:

-ممثلة عابثة لا أخلاق لها؟ لكنني أخشى أنك مخطئ فأنا أقول الحقيقة.

فتركها... ثم سحب نفسا عميقا أعقبه بزفير مرتفع الصوت... ثم راح ينظر إليها و كأنه لم يرها من قبل.

– ألذلك منعتني عنك في السابق؟ أ

–جل... أصدمك إعترافي؟

كانت مشاعره تجاه الأمر واضحة.

إنها صدمة...فلمن كان يزاول مهنة كمهنتي و لمن كان في مثمل عمري يعتبر الأمر مهما!

لقد إعتبرت جسدي دائما مهما. مع أنه من اليسير إقامة علاقة مع أي إنسان في هذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الزمان... لكنني طوال حياتي لم أحب الأمور السهلة... فما رأيك؟

نظرت إليه متحدية تتنتظر ردة فعله، ثم قال بصوت أجش:

-أنت تعرفين رأيي... أنت إمرأة مميزة... سابينا كيندل! بدأت من الآن أتساءل ماذا إكتسبت من زواجي منك... عذراء! و أنت من قلت إنك تزوجتني لرغبتك في! أ

-نت تجعلني أبدو و كأنني دون حياء سيد كيندل!

-إن كنت تريدين رأيي... فسأقوله لك في الصباح... ياهي سابينا. أنت بريئة ساذجة!....

-لا... أبدا... لست ساذجة إلى هذا الحد.

-شكرا لله... لا أريد لأي شيء أن يفسد ليلتنا... أقصد ليلتك الأولى.

و حملها بين ذراعيه بسهولة، فلفت ذراعيها حول عنقه و تقدم ليضعها على السرير المزدوج.

7–مازلت أريدك

إستيقظت سابينا في الصباح التالي تشعر بسعادة لم تعرفها من قبل... كلاهما إستيقظ في الوقت ذاته كما يبدو...و كأنهما أصبحا بعد الليلة الأولى شخص واحد، يحسان بالمشاعر نفسها و الحب نفسه، لقد شكت كثيرا في حبه.

–علام تتنتسمين؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألها باتريك بكسل و هو مستلق إلى جانبها، فاستدارت و هي بين ذراعيه:

- كنت أفكر فيك.

فابتسم:

-تعجبني الفكرة... أفكار مثيرة...

فضحكت:

-قطعا!

-أتحبين تنفيذ ما تفكرين فيه.

-كنت أفكر أنني سأتغلب عليك و... و ... ماذا تفعل؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت يداه قد أطبقتا على خصرها بشدة، فأجاب:

-أضع كلماتك موضع تنفيذ.

لولا الطعام الذي أحضره الساقي لتم التنفيذ... لكن الخادم لم يلاحظ الابتسامتين السخيفتين على وجهيهما...

فدخل بعد أن فتح له باتريك و وضع الطعام على طاولة غرفة الطعام. و حياهما قبل أن يخرج.

إنفجرت سابينا بعد أن خرج ضاحكة على منظر باتريك و هو يحاول جاهدا الظهور بمظهره الطبيعي أمام الخادم. قطب باتريك وجهه و هو يسمع ضحكها:

–ليتني لم أستأجر جناح العرائس هذا!... إنه يوحي بكل ما وضوح ما كنا نفعله طوال الليل.

–أما كنا سنفعل الشئ نفسه في أي جناح أخر؟

– بلطبع... لكن...

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-أوه... باتريك... لا يهمني ما يقوله الناس جميعا؟

نهضت من فراشها فاستدارت حول الطاولة لتلف ذراعيها حول عنقه، و تضع رأسها فوق رأسه.

-سيقال الكثير إذا إستمريت تتجولين حولي هكذا طوال اليوم.

-أنت من تضع الشعلة داخلي!

فوقف فجأة يمسك بيدها و يجرها إلى غرفة النوم :

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-باتريك... أنا جائعة.

-و أنا جائع... قد نتناول الطعام فيما بعد.

في النهاية ما عادا اهتمان بالفطار بل طلبا الغداء مبكرا. فقدمه لهما الساقي نفسه، رافعا حاجبيه قليلا عندما وجد الفطور باردا... في هذه المرة ضحك باتريك على نظرته... فسألته سابينا و هي تتمطى:

-أكل آشهر العسل هكذا؟ لكنني لا أهتم بأي شهر عسل آخر فأنا أجد شهر عسلنا

جميلا جدا، و أنا سعيدة بزواجي منك باتريك.

فضحك:

–و أنا كذلك... و الآن تناولي غداءك، فأمامنا طائرة علينا اللحاق بها في الموعد تماما.

لم يخفف شيء حتى السفر الطويل من سعادتها إذ كانت تجد نبعا لا ينضب من المواضيع تتحدث بها مع باتريك.... مع أن الأوقات التي أمضياها صامتين كانت ممتعة

كذلك. كانت تحس أنها مربوطة إليه بخيوط خفية... و أنها تحبه أكثر من الأول، مع أنها تعلم أنه قد لا يبادلها الحب، إلا أنه يتمتع بعلاقتهما بقدر ما تتمتع هي بها.

إستأجرا سيارة حالما وصلا إلى لوس أنجلوس، فقد باعت سيارتها قبل أن تسافر. و سألها و هما يتجهان إلى منزل والديها:

–هل ستفتقدينها؟

لوس أنجلوس؟ أسكن فيها منذ سنتين. بالطبع سأفتقدها. لكنني الآن أملك شيئا أفضل. تمنأ هذا.

فالتفتت إليه ساخرة:

-لقد إمتلكتني الآن روحا و جسدا، و تأخر الوقت كثيرا على الشك... فلنتوقف في أي نزل تريده على الطريق لأبدد لك بالبرهان القاطع شكوكك كلها.

-أظنني سأثريت على مضض حتى المساء.

-إن الليل في لندن قد حل.

-أيتها الخبيثة!

- حسنا إذا كنت تفضل الانتظار.

-لا أرغب دي الانتظار... لكنني سأنتظر...خاصة و أنا أعلم مقدار شوقك إلي!

فابتسمت معترفة في سرها بما قاله... و قالت:

-والدي ينامان باكرا.

-أيعني هذا أننا سنتمكن من النوم باكرا أيضا؟

-يعني أن هذا أفضل.

فضحك:

-ربما كان علينا تأخير هذه الزيارة إلى ما بعد شهر العسل، فعندها كنت ستراوغين و تتهربين مني.

لم تجادله في هذا، فهذا أمر سيتكفل الزمن و أفعالها بإيضاحه ثم أن ثلاثة أسابيع لا يمكن أن تكون كافية للبدء بالهرب منه.

رحب بها أهلها بحرارة بينما رحبا بباتريك مع شيء من التحفظ، فهما لم يقابلاه سوى مرة

واحدة قبل حادثة الطائرة. لكن باتريك كان في أوج سحره، و سعادتها بهذا الزواج لا يمكن الشك فيه. و ما إن حان وقت النوم حتى كان والدها قد تخلى عن تحفظه نحوه.

قال لها باتريك و هو يتحضر للنوم:

-يبدو أن فيليب يهمه كثيرا.

-أجل.

-عندما يصبح أقوى عودا سنحضره ليراه جداه.

-قالت أمي إنه لن يمر زمن طويل قبل أن يتعافى والدي و يصبح قادرا على السفر.

-ربما يزوراننا عندما سنعمده.

- ربما....باتريك؟

-هه؟

-كم إمرأة مرت في حياتك؟ هـ

-ل هذا سؤال يطرح على عريس جديد؟

-سؤال صريح يتطلب رداصريحا.

-لن أبحث مثل هذه انأمور في شهر عسلي!

-أوه...عرفت...أنتم الانكيز تعنون بالتحفظ عدم التكلم عن مثل هذه الامور.

-كان هناك بعض النساء. مع أنني تعلمت أن أكون أكثر تحفظا في السنوات الأخيرة.

-لكن عائلتك لا تظن هذا.

-اللعنة على عائلتي! أنت لست متزوجة منها.

-أشكر الله على هذا!

–لم أسافر كل هذه المسافة لكي أناقش أمر عائلتي... ألا يمكنك التفكير بشيء أكثر إثارة.

إستأجر باتريك فيلا على الجزيرة و كانا لا يريان أحدا إلا الفتاة التي كانت تأتي كل صباح للتنظيف فكل شيء فيها حتى الشاطئ كان ملكهما و موضع حبهما...أمضيا الوقت في إسترخاء على الشاطئ و في تحضير و تناول وجبات

لذيذة... و كانت مداعبة واحدة تشعل نارا تدوم ساعات و ساعات.

كان باتريك يضحك كثيرا... ضحك من كل قلبه خلال الأسابيع الثلاثة التي أمضياها وحدهما... بل أنه لم يعد يشبه في شيء ذلك الرجل المتجهم الذي أتى إلى لوس أنجلوس يريد رؤيتها في شقتها للمرة الأولى... و تمنت من كل قلبها أن لا يعود إلى ما كان.

لكن كلما كانا يقتربان من إنكلترا في الصباح التالي كان يعود إلى إنعزاله و توتره، رغم

مزاحها معه. و حين بدأت رحلة العودة إلى منزل أهله لإحضار فيليب بات من الستحيل التصديق بأن الرجل الجالس قربها هو ذاك الذي كان متمددا معها على رمال الشاطئ يوم أمس، أو هو الذي ركض وراءها فوق الرمال الذهبية إلى الفيلا.

بدت باربادوس بعيدة بعد الزمن الآن... و بدأت تحس بالبؤس للتغيير الذي أصاب زوجها عندما وصلا إلى منزل العائلة.

–لن نبقى هنا باتريك، أليس كذلك؟

لسان حماتها اللاذع لن تستطيع تحمل وقعه عليها خاصة بعد الوقت العصيب الذي مرت به بسبب تبدل باتريك منذ لحظة وصولهما... فنظر إلى ساعته و هما يتجهان إلى المنزل:

–الساعة الآن الحادية عشرة و النصف، و لقد حان وقت الغداء تقريبا.

–لكن...

–لا يمكننا حمل فيليب و الهرب هكذا. لا تكوني طفلة سابينا!

تصاعد الدم إلى وجنتيها... فلقد خسرت خلال هذه الأسابيع كل دروع وقايتها من الصدمات و إعتادت على كلمات الاعجاب و التشجيع منه بدلا من هذا التحفظ. لكن قناع التكبر عاد إلى مكانه ما إن شاهدت ليزا كيندل ترحب بابنها بحرارة قبل أن تلتفت إليها بالتفاتة باردة. و تأبطت ذراع إبنها تتجه معه إلى غرفة الجلوس، بينما راحت سابينا تجرجر أذيال الخيبة وراءهما:

-هل أمضيت عطلة سعيدة حبيبي؟

– الكاريبي مكان مرضي.

فنظرت إليه سابينا بحدة... مرضي؟ شهر عسلهما... مرضي؟ لكنها عادت إلى البرودة عندما أحست بنظرة ليزا كيندل المنتصرة:

–لو عذرتماني...سأذهب لرؤية فيليب.

لم تنتظر الرد بل أسرعت للخروج و لم تتوقف حتى أصبحت داخل غرفة فيليب.

كانت برودة باتريك بعد حرارة شهر العسل، تقطعها كسكين حادة فلم تصدق البرودة بعد ذاك التقارب الذي كان بينهما حين كانت

نظرة أو إبتسامة كافية لمعرفة ما يريد أحدهما من الاخر... لقد هبط الان درع حديدي بارد حول مشاعره ظهر فيه ذلك الغريب الذي عرفته من قبل. لكن مهما كان الذي يزعجه، ستعرفه في أسرع وقت ممكن.

لكن كان لباتريك خطة أخرى حول البقاء معا في المنزل.

–سأوصلك و فيليب إلى منزلنا ثم أتجه إلى المكتب بضع ساعات بعد الظهر.

نظرت إليه باستغراب... تلاحظ جيدا تظاهر أمه بعدم الاهتمام بالحديث.

-و هل أنت مضطر؟

فرد بحدة:

-ما كنت ذهبت لولا اضطراري. غبت عن المكت ثلاثة أسابيع و المؤسسة لا تدير نفسها بنفسها.

أجفلتها قساوة كلامه و كأنه ندم على الأسابيع التي قضاها معها... أو كأنه إعتبر

أن ذلك كان هذرا لوقته، كيف له أن يكلمها بهذه الطريقة أمام أمه؟

قالت ليزا كيندل بكل رضى و سعادة:

-يبدو أن شهر العسل إنتهى!

فنظر باتريك بسرعة إلى سابينا:

-هذا ما يبدو.

قالت الأم:

-على فكرة... لقد عرفت الصحافة بقصة زوجك... فالصحافة دائما متطفلة.

-نعرف هذا... هل فيليب جاهز الان سابينا؟ أظن أن علينا الذهاب.

فقالت أمه:

-لكن قهوتك...

قاطعها باقتضاب:

- لا أريد قهوة. و أنت سابينا؟

- لا... شكرا. سأذهب لاحضار فيليب... فالسيدة بريد قالت أنه سيكون جاهزا بعد الغداء مباشرة.

قالت السيدة بريد بصوت متهدج و هي تعطي الطفل إلى سابينا:

-سأشتاق إليه.

-فدعتها سابينا بحرارة:

-لك الحرية في زيارته متى شئت فأنت علا الرحب و السعة.

- شكرا لك... سأحب هذا.

إنتظرت سابينا مع ليزا كيندل في غرفة الجلوس بينما باتريك و الخادم يعبئان أغراض فيليب في السيارة... و كان الصمت بين

المرأتين متوترا... على الأقل من جهة سابينا، فليزا بدت واثقة من نفسها كالعادة... و لماذا لا تشعر بالثقة و إبنها قال لتوه إن شهر العسل كان "مرضيا"!

سمعت ليزا كيندل تقول لها بسخرية:

– إذن لقد فشلت في الاحتفاظ على إهتمام ولدي بك بعد شهر العسل! كنت أعرف هذا... فأنت ككيم تماما.

فصاحت بها سابينا:

–اتركي كيم خارج الموضوع!

قالت المرأة بكل ترفع:

-بكل سرور! و سأتركك أنت خارج أي موضوع عندما يدرك باتريك جسامة الخطأ الذي إرتكبه بزواجه منك... يبدو أنه ندم على تهوره!

إهتز الطفل بسبب إرتفاع وتيرة صوت جدته... فتوقفت سابينا عن هذه المناقشة ووقفت لتغادر المنزل و رأسها شامخ. أسرع باتريك لمساعدتها و إيصالها إلى المقعد الخلفي من السيارة. فقالت متوترة بصوت حاد:

www.riwaya.ga مكتبة رواية

-ربما تستطيع العودة لتشكر والدتك على الغداء... لقد نسيت.

نظر إليها متفرسا قبل أن يستدير نحو المنزل ليعود منه برفقة أمه التي قالت:

- هل لي أن أحتضن فيليب لبعض دقائق... أرجوك؟

أعطتها سابينا الطفل. فلاحظت أن أساريرها المجهمة إنفرجت حتى الابتسام. ربما هناك أمل في هذه المرأة... فقالت لها:

-تعالي لرؤيته متى شئت.

نظرت إليها العينان الباردتان... و ردت ليزا بعجرفة:

-هذا ما أنويه... إنه حفيدي.

فرد عليها باتريك بصوت منخفض:

-و المنزل منزل سابينا.

أخذ الطفل من أمه و أعاده إلى سابينا التي ابتسمت له شاكرة دفاعه عنها... لكن المتعجرفة ردت:

-و منزل إبني كذلك!

-لكن سابينا ستمضي فيه وقتا أكثر.

أثناء العودة قالت له:

-شكرا لك.

-ههذ هي الحقيقة. ليتكما تتفاهمان...

لكنها قاطعته:

-باتريك... هل تعتقد حقا أن شهر عسلك كان مرضيا؟ أ

-عتقد أنني قلت إن الجزيرة مرضية. ولم أذكر شهر عسلنا كما لا يعقل أن أخبر أمي أننا نغادر غرفة النوم.

حتى قوله هذا بدا إهانة، فقالت بحدة:

–و لماذا لا؟ فهذا ما يفعله معظم العرسان في شهر العسل!

فنظر إليها مشمئزا:

–ربما أنا لا أحب التباهي.

*****

جعلها فيليب مشغولة طوال الوقت إذ راح يستكشف ما حوله و يركز قليلا على مداعبتها. ثم غط بالنوم بعد أن غنت له بعذوبة.

عندما نزلت إلى الطابق الأرضي قالت لها الخادمة المتوسطة العمر التي إستخدمها باتريك مدبرة المنزل:

-إتصل السيد كيندل منذ دقائق سيدتي. و عندما قلت له أنك مع الطفل، طلب عدم إزعاجك.

-هل ترك رسالة؟

-قال إنه سيتأخر في لندن، و طلب منك عدم ترقبه على العشاء.

إبتسمت السيدة كليفس بعد أن بلغتها الرسالة فقالت سابينا:

-شكرا لك. لا تحضري عشاء، فسأتناول شيئا فيما بعد إذا جعت.

حارت من برودة باتريك و من رغبته في الابتعاد عنها، فأن يقضي بعد الظهر في العمل أمر تتقبله، لكن أن يمضي الأمسية كذلك فلا!

عندما أطعمت فيليب في العاشرة و النصف لم يكن قد عاد بعد إلى المنزل فما كان منها

إلا أن وضعت الطفل في مهده ثم قررت الخلود إلى النوم... فقد لا يعود باتريك الليلة أبدا!

كيف له أن يفعل هذا بها في أول أمسية لهما في منزلهما بالغضب و الأسى و الألم... و عندما سمعت صوت سيارة باتريك تدخل الطريق الخاصة للمنزل كانت قد وصلت إلى نقطة الغليان. لن تسمح له بمعاملتها هكذا...!

كانت تقف في منتصف الغرفة عندما سمعت وقع أقدامه خارج الباب... كان ثوبها الحريري الشفاف يتعلق بكتفيها الزهريتين فقماشه الرقيق كشف أكثر مما غطى من جسدها... إذا كان باتريك يظنها من الزوجات اللواتي يتكورن في الفراش مدعيات النوم...بدلا من المواجهة فهو مخطئ!

توقف باتريك مجفلا عندما شاهدها تقف بكبرياء أمامه، فقال:

—سابينا!

ثم إستعاد جأشه بسرعة، و أقفل الباب وراءه، و تقدم و هو ينزعربطة عنقه:

-ظننتك نائمة.

-صحيح؟ لم أعتقد أن وقتك سمح لك بالتفكير بي ءو ربما لم تشأ التفكير.

- سابينا...

حدجته بعينيها الخضراوين و قالت ترد عليه بالحدة ذاتها:

-إذا كنت تريد إيقاف علاقتنا الزوجية باتريك، فقل هذا بصراحة. و إذا كنت قد

فشلت بإسعادك فقل هذا أيضا... فلست بحاجة للبقاء خارج منزلك لتتجنبني.فأنا...أوه...

صرخت شاهقة بعد أن جذبها بين ذراعيه، قائلا بشراسة و هو يهزها:

-أوقف علاقتنا الزوجية! كيف لك أن تتحدثي عن أحاسيسنا المشتركة بهذه الطريقة؟

-أنت من تريدها هكذا!

-أنا أريدك أنت...يا إلهي! أنت تمنحيني سعادة لا توصف بالكلمات...أنا لم أتجنك. على الأقل ليس

بارادتي. بل كنت أمهلك وقتا... لإنهاء شهر العسل إذا أردت. لكن يبدو أنك لا تريدين...أليس كذلك؟

-أبدا...! أريدك كثيرا!

و دفنت وجهها في صدره. فاعترف بوحشية:

-و أنا أريدك.

و أطبق عليها، ليظهر لها أنه ما يزال يحبها و يريدها... و كانت معه لحظة بلحظة تستجيب له!

____

8–الشك المرير

تلك الليلة لم تتكرر ثانية. فما عاد يتأخر في العودة إلى بيته و ما عاد يظهر شيئا من البرود.

فيليب بلغ الآن الشهر الثالث، فقد مضى شهران على زواج خالته وعمه، و هو يحس بجو السعادة يحيط به.

كانوا عائلة طبيعية... ولم تظلل الظروف المأساوية التي جمعتهما معا علاقتهما. كما لم

تجد غضاضة في دعوة ليزا كيندل لتناول الشاي بعد الظهر. كان باتريك يأخذ الطفل لرؤية جدته مرة في الأسبوع، خلال ستة أسابيع، لكنه لم يحاول طوال هذه المدة دعوتها إلى زيارتهما لأنه شعر بأن سابينا ممتعضة من لقائهما الأخير لكن سابينا اليوم تحس بسعادة عارمة لأنها دعت حماتها لاحتساء الشاي بعد الظهر. صدمت ليزا كيندل عندما تلقت الدعوة الرسمية عبر الهاتف. لكنها قبلتها... على كل الأحوال

إنها والدة باتريك. و لن تدع الكراهية تدوم إلى الأبد.

وصلت حماتها عند الرابعة و النصف بالضبط بعد الظهر، تقود سيارة العائلة بنفسها، و أحست سابينا بالراحة لرؤيتها و قد غيرت مظهرها للمناسبة مرتدية بذلة زرقاء حريرية جذابة. لكن سابينا كانت قد تعلمت أن إرتداء الأثواب الفاخرة المكلفة أمر لا يجدي بوجود الأطفال... و يبدو أن ليزا نسيت حتى الآن كيف يكون الأمر مع الأطفال!

قالت ليزا بعد أن تفحصت غرفة الاستقبال بعيني ناقد...

-لديك منزل جذاب...لا شك أنك إستعنت بمساعدة خبير في الديكور.

فابتسمت سابينا لأن المرأة تحاول إنقاص أهمية ما فعلته بنفسها:

-لا... فقبل أن أكون ممثلة... درست فن الديكور الداخلي.

فقالت حماتها بترفع و إزدراء:

-دراستك كانت مفيدة.

-أجل... هل تريدين أن أحمل فيليب إليك الآن؟

-حسنا لهذا جئت!

فرفعت سابينا حاجبيها هازئة، و قالت قبل أن تتوجه لإحضاره:

-ظننتك جئت لاحتساء الشاي.

تمكن من حسن الحظ فيليب من تخفيف حرج و إرتباك المرأتين اللتين راحتا تراقبانه و هو على الأرض يحرك يديه و قدميه في محاولة

للزحف، ثم يحمر وجهه غضبا عندما يعجز عن التحرك.

قالت سابينا ضاحكة و هي ترفعه عن الأرض:

–التمرين مفيد له، يقوي عضلاته... هذا ما قالته المرشدة الصحية التي تزورنا.

دغدغت الطفل في رقبته بأنفها ليطلق سريعا ضحكات الفرح... فقالت ليزا:

–لا شك أبدا في صحة فيليب. لكنني أتساءل متى ستتعبين من تمثيل هذا الدور.

-دور؟

-دور الزوجة و الأم الشغوف. قد تكونين ممثلة بارعة، لكن إلى أي مدى تظنين نفسك قادرة على متابعة التمثيل؟

أخذت سابينا نفسا عميقا و قالت بحزم:

-سيدة كيندل... لقد دعوتك اليوم لاحتساء الشاي و رؤية فيليب...لكن الدعوة لاتشمل الإهانة!

-كنت أسأل فقط...

فوقفت سابينا غاضبة.

-إنه سؤال سخيف لا أهمية له عندي! أنا لا أمثل دور زوجة باتريك و أم فيليب... فأنا فعلا زوجة و أم و قد ظننتك نسيت أحكامك المسبقة و قبلتني على هذا الأساس.

-لقد تحملتك فقط لأن ولدي هو من إختار تدمير حياته بزواجه منك... و لأنك شريكته في الوصاية على حفيدي الوحيد. و إلا لما منحتك فرصة البقاء هنا يوما واحدا! كنت أعلم أن نفوذك هو الذي منع إبني من

ضعوتي إلى منزله، و أعلم كذلك أنك أنت من تمنعني من رؤية حفيدي متى شئت.

-لكن باتريك يحمله إليك كل أسبوع.

فصاحت المرأة بصوت حاد:

- نصف ساعة لا تغني عن جوع أبدا.

سمعتا صوتا رقيقا يقول:

-إنه وقت طويل كما أعتقد.

إلتفتت المرأتان إتجاه الصوت، فإذا باتريك يقف بالباب المفتوح. فمدت أمه يديها بتوسل و إدعاء:

-باتريك حبيبي....

فرد ببرود و هو يدنو من سابينا:

-أمي...

و رفع يده على كتفي زوجته متملكا، يجذبها إليه لأنه شعر بها ترتجف. فقالت سابينا متحدية:

-والدتك كانت على وشك الذهاب!

فهز رأسه متجهما.

- هذا مافهمته. فشهقت أمه للإهانة:

-باتريك أنت لا تعي ماتقول! أنا...

قاطعها بخشونة:

–و سابينا زوجتي... و لن أسمح لك أو لأي شخص أخر أن يهينها...و بلغي روزي قولي هذا.

فقطبت ليزا:

– روزي؟

أنتما متشابهتان يا أمي...لكنك هذه المرة تماديت كثيرا... لقد أهنت زوجتي أمامي... مع أن سابينا كانت تحاول حمايتك و حماية إبنتك من أن أعرف طبيعتكما الخبيثة

المنتقمة...أوه... بلى! لقد فعلت هذا! لكن بعد سماعي لك الآن... و سماع أكاذيبك التي تؤمنين بها... أظنك مخطئة... فلم أكن أنا المخطئ في زواجي من سابينا يا أمي... و لا شأن لها في عدم دعوتك إلى بيتي لأنني أنا من لم أرغب في زيارتك.

شهقت أمه من جديد:

–أنت؟ لا أستطيع الأصديق! باتريك...

قاطعها:

– بلى صدقي... و صدقي ما سأقوله الآن كذلك يا أمي... زواجي لن سابينا ناجح تماما... تماما. و أخر شيء كنت أرغب فيه أن تأتي أنت إلى هنا... لكنك جئت... و الآن... أنا أثني على طلب سابينا ذهابك حالا من هنا. و لا أريد أن رؤيتك مجددا قبل أن تشعري بأنك قادرة على الإعتذار من زوجتي على الإهانات التي وجهتها الآن و في الماضي!

لم يلاحظ شهقة الذشة التي صدرت من سابينا أمام صراخ أمه الفوري:

– لن أعتذر أبدا!

فاستدار يقرع الجرس لمدبرة المنزل و هو يقول:

– إذن... لا شيء يقال بيننا بعد. آه... سيدة كليفس...والدتي ستغادر المنزل حالا.

– باتريك....

– وداعا يا أمي!

نظرت بقلة صبر إلى مدبرة المنزل التي تنتظر أن ترافقها إلى الباب... ثم قالت لابنها:

- ستندم على هذا.

- لا أظن!

و سارعت الأم تغادر الغرفة... فارتجفت سابينا بعد أن بدأت ردة الفعل بالاستقرار في نفسها... فليس هناك أقبح مما رأته. فقال لها باتريك بلطف:

-أعطني فيليب.

أعطته الطفل، ثم دفنت وجهها بين يديها، و بكت:

–يا إلهي! لماذا تكرهني إلى هذا الحد؟

فهز كتفيه:

– إنها لا تطيق رؤية الناس سعداء.

– أتعني أنها ترى أن ما من إمرأة مناسبة لأولادها؟

فضحك:

–و هذا أيضا... إسمعي... لا أعرف سبب كرهها لك... لكنها ستعتذر لك.

– لقد سمعتها ... قالت أندا!

–ستفعل... و إذا لم تفعل فستخسر... هل يمكن أن تتركي فيليب مع السيدة كليفس ساعة أو ساعتين؟ لنتنزه قليلا عل أعصابك تهدأ.

عندها فقط علمت أن باتريك بدأ يهبها نفسه مقابل ما ثبه إياه دون أن يحس بهذا... كان دائما يمنحها السعادة كما تمنحه، لكن الأمر مختلف الآن، إنه يقدم لها الآن بعضا

من ذاته كاشفا بذلك عن أشياء داخلية و ها هما يزدادان تقاربا و ألفة.

حافظ باتريك على كلمته خلال الأسبوعين التاليين فلم يسمعا أو يشاهدا أمه. و هذا ما لم يزعجه لكنه أقلقها. فتمة مشاكل كثيرة في عائلته و هي لا تحب أن تكون سببا في المزيد منها. أخيرا أتت روزي فريستون لرؤيتها... و لم تكن سابينا قد إسيت بعد لقائهما الأخير.

أما روزي فبدت و كأنها لا تذكر ما حدث، لكن سابينا تعرف المرأة جيدا و تعرف أنها لم

تنس. جلس الثلاثة في غرفة الاستقبال، و النار تشتعل في أمسية من أمسيات كانون الأول... فسألته روزي:

–ألا تظن أنك عاقبت أمك ما يكفي؟

فرفع حاجبيه لدى سماعه الوصف:

– عاقبتها؟ أنا لم أعاقبها!

فتنهدت شقيقته بنفاذ صبر:

– إذن لماذا تصر على الابتعاد عنها و منعها من رؤية فيليب؟

– أنا لست مصرا على شيء... إذا أرادت رؤيته فما عليها سوى الاعتذار من أمه.

فلمعت عينا روزي بلغضب و قالت بحدة:

– لكن سابينا ليست أمه!

فقال بصوت عميق خافت محذر:

–روزي! أكره ان أطلب منك الرحيل أيضا.

لمست سابينا صدره متوسلة و هي تجلس قربه على الأريكة:

– باتريك أرجوك!

فصاحت بها روزي بلؤم:

- لا أحتاجك للدفاع عني!

لاحظت سابينا أن عينيه ضاقتا بشكل خطير، فالتفتت إليها مبتسمة و قالت بنعومة:

- أنا واثقة أنك لست بحاجة لي. على الرحب و السعة بأمك متى شاءت...

قاطعها باتريك بخشونة:

- ليس قبل أن تعتذر.

- باتريك...

– أعني ما أقول سابينا... كان تشارلز ضعيفا جدا فلم يحسن الدفاع عن زوجته ضد عائلته... لكنني لست كذلك.

فصاحت روزي:

– تشارلز كان ضعيفا جدا لإيقاف أشياء كثيرة!

فأجفلت سابينا تنظر إلى المرأة بريبة... هل ستبحث أمر أبوة فيليب أمام أخيها؟ لكنه وقف بعصبية شرسة:

– حسنا... لكنني لست ضعيفا. لذا عودي إلى المنزل و أخبري أمك أن هذه ألواسطة المتوسلة لم تنجح. فما أريده هو إعتذار لسابينا. و سأحصل على الإعتذار.

بقي غضبه مسيطرا عليه ما تبقى من اليوم... لكن ما أن أصبحا في الفراش حتى تحول إلى لطف و حب... و عاد الزوج الشتاق الذي تعرفه.

لم تظهر الدهشة على سابينافي الصباح التالي عندما أعلمتها مدبرة المنزل أن حماتها قد وصلت:

–أدخليها!

تحرك باتريك نحو المدفأة ليضع قدمه على الحاجز الحديدي و إبتسامة تساهل على جهه من مرأى وجه سابينا المتوتر.

– إسترخي... لن تؤذيك.

– لكنها ستحاول

لم تكن ليزا كيندل إمرأة يسهل عليها الإعتذار فقد دخلت الغرفة شامخة الرأس، عيناها تلمعان و كأنها تستعد لمعركة. فقال باتريك:

- صباح الخير أمي...

فهزت رأسها ببرود و صوتها يزداد قساوة و خشونة:

-باتريك... سابينا!

بدا أن الصمت إمتد طويلا بعد هذه التحية المقتضبة. إذ لم يرغب باتريك في وصل هذه

الهوة... أما سابينا فلم تجرؤ على التدخل. فهي تعلم أنه مصمم على سماع إعتذار أمه. أخيرا إستدارت العينان الزرقاوان الباردتان إلى سابينا. و بدت الكلمات تخرج بقوة من ليزا كيندل:

-أعتقد أنني مدينة لك باعتذار...

لاعتراضك على شيء قلته لك....

فصحح لها باتريك كلامها بقساوة:

-بل أنا من إعترض.

فظهر الاحراج أكثر على أمه:

– حسن جدا... أنا أسفة سابينا إذا كان ما قلته بدا فظا.

فصاح باتريك ثانية:

– لم يكن "يبدو" أمي... بل كان فظا... وسمعته بنفسي... أتذكرين؟

بعد ثوان قليلة لاحظت سابينا أن شفة العجوز السفلى ترتجف دون إرادة منها. و علمت أن ليزا كيندل لا تسيطر على نفسها كما تظهر. فسارعت تقاطعهما:

– هذا يكفي... إنه إعتذار مناسب.

إذ لم تطق أن تذل هذه المرأة... فباتريك رجل ظالم قاس. و أكملت:

– هل تودين رؤية فيليب؟ لا شك في أنه مستيقظ الآن.

– شكرا لك.

وضعت ليزا الطفل بين ذراعيها فاستلقى بينهما يثرثر...

–لقد نما كثيرا خلال أسبوعين.

– أجل... سيدة كيندل...

– بل ليزا...

ضحكت عندما طالعتها دهشة سابينا:

– أوه...لا تقلقي... لن أنقلب فجأة من ساحرة إلى جنية طيبة. لكنني ذكية حتى أعرف أن باتريك قد إختار ما يجب أن يختاره كل إنسان في يوم من الأيام، بين عائلته و بين زوجته. لم يبد تشارلز قادرا على هذا الاختيار... و ربما كان غلطتي. لكن باتريك يشبهني أكثر من الآخرين... و لقد قرر... أن لك و لفيليب الأولوية في حياته... فأما أن أقبل أو أخسركم جميعا... و سأقبل.

رضيت بقول المرأة لكنها رأت أن الأولوية في حياة باتريك هي للطفل... فهو لا يحبها و قد لا يحبها أبدا.

وصل أبواها لقضاء الميلاد معهما و بقيا حتى حان موعد تعميد فيليب في شهر كانون الثاني... و كان والدها قد غدا أقوى بكثير... و ما عاد يحتاج إلا أن يرى فيليب الصغير

كانت المناسبة أول إحتفال رسمي تكون فيه سابينا مضيفة لباتريك. و أرادت أن يكون

كل شيء كامل و أرادته أن يكون فخورا بزوجته... و ساعدتها ليزا كثيرا في ترتيب الاحتفال... إذ كانت المرأة محقة... فهما لم تصبحا صديقتين فجأة، بل كانتا تتحملان بعضهما بعضا... و كانت تساعدها.

كانت مراسم الكنيسة مختصرة و جميلة و هادئة فلم يبك فيليب عندما وضعت المياه على رأسه.

ضحكت أم سابينا بعد أن غادرا إلى المنزل.

–لقد ذكرني فيليب بك كثيرا ف تلك اللحظات.

غدا والداها و باتريك صديقين خلال أسابيع إقامتهما هنا... فكبحت سابينا إبتسامة و هي ترى حاجبي زوجها ترتفعان. فقد كان يتحمل الكثير من المزاح منهما... فتحفظه الانكليزي كان مبعث تسلية لهما. ثم قال:

– لا بد أنه تساءل ماذا يجري في هذه الدنيا... لن يعرف حتى أننا سنعمده ثانية بماء الورد هنا خلال الحفلة.

– صحيح؟

–أجل إنها هدية والدك... سأذهب لأحضر كل شيء.

تأملت سابينا الغرفة بعيني المضيفة الناقدة. تريد أن تتأكد أن كل شيء في موضعه المناسب و أن الجميع يحصل على ما يريده من طعام و شراب و تسلية و صحبة.

إلتقت عيناها بعينين زرقاوين متألقتين... عيني روزيفريستون، التي وقفت غير بعيدة عنها، يلتوي فمها بسخرية.

لم تشعر سابينا قط بالراحة مع هذه المرأة، و كانت اليوم ترى أن عند هذه المرأة شيئا ما ستقوله في الوقت المناسب يكون ضربة موجعة. إنه شعور سخيف... رتصرفات المرأة كانت دائما مرضية. و اليوم الذي أمضياه معا وقت الميلاد كان ممتعا. و مع ذلك... فذلك القلق ملح...

إبتسمت لها روزي الآن. و قد غادرت كل الكراهية أساريرها. مما جعل سابينا تتساءل عما إذا كانت تتخيل في تلك النظرات.

– هاك كأسك ياحبيبتي!

إلتفتت سابينا لتتقبل لكأس من زوجها و إبتسمت له بحرارة، ناسية وجود روزي كله. فالأنخاب إرتفعت لسعادة فيليب. ثم أخدت الأيدي تتناقل الطفل ليبدي المدعوون إعجابهم به...

وقفت روزي فجأة قرب سابينا و هي ترتشف كأسها:

– أمك على حق... لفيليب مواصفات كيم نفسها. و لا أقصد الاهانة... لا سمح الله لأن باتريك قد يطردني!

أحست سابينا بعودة القلق إليها لكنها ردت بلطف:

– لا أحسبك تقصدين الإهانة.

نظرت روزي خارج الغرفة القريبة منهما و أكملت:

– يتوقعون سقوط الثلج اليوم... و يبدو أنهم سيصدقون هذه امرة!

تقدمت سابينا لتقف قربها و ردت بلطف:

– أجل.

إلتفتت إليها العينان الباردتان:

–سيعود أبواك إلى أمريكا قريبا؟

فأحست سابينا بالحزن:

– بعد يومين.

– يبدو أنك ستفتقدينهما.

– طبعا.

– لكن باتريك... و أمي سيبقيان.

– أجل.

قطبت سابينا، فروزي لم تتحدث إليها منذ زفافها، وكلاهما تعرف كيف كان ذلك الحديث.

تابعت روزي بمرح:

- أمي أصبحت رائعة معك... على كل الأحوال... أنت تحتفظين بحفيدها.

-روزي...لا أظن...

فقاطعتها بخبث:

– ألا تظنين أن الوقت مناسب لمناقشة موضوع كهذا...سابينا...هل أنت سعيدة مع أخي؟

إنتقلت نظرات سابينا لا شعوريا إلى زوجها و الحب يضيء عينيها تراقبه و هو يضفي سحره علا أهلها، فرفع رأسه إليها و كأنه أحس بنظراتها. فابتسم لها إبتسامة حارة قبل أن يخطف فيليب إهتمامه. سمعت روزي تجيب عن السؤال:

– بالطبع أنت سعيدة، هو مع فيليب يبدو أنه على أكمل حال أليسا كذلك؟ كأنهما أب و إبنه. روزي... لكن ربما يعود السبب إلى أنهما فعلا أب و إبنه.

أحست سابينا بجفاف في فمها... ولتصق لسانها في حنكها... لكنها واثقة أنها لم تسمع ما قالته المرأة جيدا. فما تقوله جنونا!

سمعت روزي تقول بسخرية:

– أتريدين سماع الكلمات مرة أخرى... لن أزعج نفسي في إعادتها... أنظري إليهما...أنظري!

أشاحت بوجهها إلى البعيد لكن المرأة أمرتها بشراسة.

– أنظري! لهما الشعر المتموج ذاته و لون العينين نفسه و الفك المرتفع نفسه بل لهما التكبر ذاته.

سابينا لم تكن تلاحظ هذا التشابه كله، أما الآن فقد لاحظته إذ أصبح واضحا كل

الوضوح لها بعد أن أشارت إليه هذه المرأة الشريرة الحاقدة!

باستثناء الشعر الناعم الأحمر المسرسل، كان فيليب إنعكاسا لصورة باتريك...

لكن أن يكون إبنه؟

لا...! لا يمكن أن تصدق هذا!

و لن تصدقه!

–لن أقع في الفخ

– يجب أن تصدقي سابينا... فهذه هي الحقيقة!

أجفلتها كلمات روزي التي قطعت عليها أفكارها.

–لا...!

أصبحت بيضاء تكاد تخالط الزرقة وجهها، فجحظت عيناها... وءظهر الثوب الأسود بشرتها أكثر شفافية. لكن سرعان ما أصبح باتريك قربها.

– سابينا! حبيبتي... ما الأمر؟

فأجابته روزي بكل وقاحة:

– إنها لاتشعر بأنها بخير... فالمكان حار جدا هنا بسبب النار كل هئلاء الناس. سأرافقها إلى غرفتها لتستريح.

لف ذراعه على كتفي سابينا:

– سأرافقها بنفسي.

لكنها أجفلت مذعورة من بين يديه:

– لا!... أنا...لا!...

تحركت مبتعدة عنه، تنظر إليه و كأنها لم تر هذا الجه من قبل.

فقالت روزي بنعومة:

– سأوصلها بنفسي فلديك ضيوف باتريك. لا يمكنكما تركهم معا.

بدا باتريك مترددا إذ راح ينقل نظره من شقيقته إلى زوجته حائرا، فحثته روزي:

–غراهام و شيلا سيغادران الآن.

فنظر إلى المدعوين و منهم إلى سابينا:

– أنا مضطر لتركك... هل ستكونين على ما يرام؟ سأكون عندك حالما يرحل الجميع.

– سأكون بخير...

كان عليها الابتعاد عنه قبل أن تجعل من نفسها أضحوكة و تسأله مباشرة ما إذا كان ما قالته روزي صحيح... فاستدارت و هي تقول:

–سأصعد إلى غرفتي لأستلقي قليلا.

لم تدرك أن روزي لحقت بها حتى وصلت إلى غرفتها فتوقفت عند الباب، و إلتفتت إليها، و التصميم في وجهها:

- أفضل الوحدة.

-ألا تريدين معرفة ما تبقى من علاقة باتريك بكيم؟

-لا أصدقك...

- و لماذا إذن أجفلت مبتعدة عنه منذ لحظات؟

دفعت الباب بشولة و تبعت سابينا المذهولة
نحو سريرها فجلست عليه بعنف تضيف:
– لقد قلت لك إن هناك رجلا آخر
سابينا... ألم تفكري قط بباتريك؟ إنه
مناسب... و كيم جميلة جدا.
كان صوتها ناعما ساخرا كفحيح الأفعى،
فتأوهت سابينا:
– لا...!
أغمضت عينيها لتمنع الكابوس من
الاستمرار، لكن المرأة إستمرت بالفحيح...

– بلى! و إلا لماذا تظنين أنه مصمم على إبقاء فيليب في إنكلترا؟ لماذا تظنينه تزوجك؟... أنت جميلة ، أعترف لك بهذا... بل أنت تشبهين كيم... ربما في الظلام... لا يمكن...

فوقفت سابينا بشراسة، و قبضتا يديها مشدودتان.

– توقفي عن هذا! توقفي! لا أريد سماع المزيد!

–حسنا... هذا مؤسف جدا... كنت سسأخبرك بكل شيء. أترين... كيم كانت غير سعيدة هنا... و كان باتريك لطيفا معها دائما...لذا كان من المتوقع أن ترتد إليه عندما بدأ تشرلز يسأم منها.

لمعت عينا سابينا كزمردتين خضراوين:

– هذا كذب! باتريك لا يفعل شيئا كهذا بشقيقه!

فالتوى فم روزي بازدراء:

– عندما يكون هناك جنس لا يتردد الرجل أبدا... فكري... سابينا فكري!

لن تفكر فهي تعلم أن قولها كذب و إفتراء... لكن الشك أخذ يستبد بها... لقد رفض باتريك أن يغادر فيليب إنكلترا... و كانت ذريعته صغر سن فيليب لكن ذريعة الأبوة أقوى!

أحست بالسقم و هي تتصور باتريك كان يطارحها الغرام ظانا أنها كيم! خلال تلك الأوقات ما كانا يتبادلان الكثير من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الكلام... ربما لوتكلمت، لأدرك أنها ليست كيم و عندها يفقد رغبته فيها. أوه... هذا جنون... و مع ذلك قد يكون صحيحا! إتفقا على الصدق و الصراحة... لكن في هذا الموضوع لن تستطيع التحدث إليه... فهي تخشى الرد! فقد يتحطم زواجها إذا علمت أنها بديل لشقيقتها.

كانت تستلقي في الفراش شاحبة الوجه جافة الدموع عندما دخل باتريك... فنظرت إليه

بعينين منخفضتين و هو يجلس قربها على السرير... قائلا بنعومة:

– ذهب الجميع... هل يؤلمك رأسك؟

– يؤلمني رأسي؟

–أنت مستلقية هنا في الظلام.

إنها لم تلاحظ حتى أن الدنيا أظلمت! فمال فوقها ليضيء المصباح الخافت قرب السرير.

– غادر الجميع باكرا بسبب الثلج... إنه يهطل بكثافة الآن... و الحفلة فقدت بهجتها دون المضيفة... طبعا.

أشاحت بوجهها عنه و قالت بجفاء:

– أسفة.

–هاي... إنني أمازحك... قلق عليك الجميع، بما فيهم أنا...

– إنه صداع... تعب الميلاد و التعميد.

– أهذا كل شيء سابينا؟... ألم تكن روزي تغرز خنجرها المسموم ثانية... أهذا هو الأمر؟

– روزي؟

– لقد إختلف حالك فجأة بعد أن تكلمت معك.

–ألم الرأس يهاجم المرء فجأة...

لم يقتنع فقال بعد لحظات:

– هل أنت بخير حتى تري أبويك؟ إنهما قلقان.

– لا أريد رؤيتهما. أود الإغفاء قليلا... هل تعتذر منهما؟

– طبعا... هل تريدين رؤية فيليب قبل النوم؟

-يجب أن أضعه في فراشه...

- أمك ستضعه كما إني قادر على ذلك مرة واحدة... أتظنين أن العناية به هي سبب الصداع؟ إذ كنت تستيقظين فيلليل لأجله.

بعد حديثها مع روزي فريستون لم تعد واثقة ما إذا كان هذا القلق عليها لمصلحة إبنه أم لا... إنها تسمح لكلامها المسموم أن يسيطر على تصرفاتها غصبا عنها... و لم تتمكن من إيقاف ما قالته:

– كل الأمهات يفعلن ذلك... ولست من مادة قابلة للانكسار بسرعة باتريك.

دهش لانفجارها الكلامي هذا... فأطباعها عادة بعيدة عن الجدال و الخصام... لكنه قال بلطف:

– أعلم هذا حبيبتي. لكنني لم أرغب في أن تجهدي نفسك به حتى المرض.

–رأسي يؤلمني باتريك... و لست مريضة!

–حسنا سابينا... سأحضر فيليب لتريه قبل أن ينام...

رفضت العشاء... و إستحمت ثم دخلت الفراش، تحاول يائسة أن تغفو قبل وصول باتريك... لكنها كانت صاحية عندما دخل بهدوء إلى الفراش قربها، و أحسط به يلتصق بها و يغطي نفسه. ثم لمس كتفها بهدوء:

–سابينا؟

أغمضت عينيها بشدة، و الإحساس بالشوق يغمرها للمسته... فردد بصوت أكثر حدة:

– سابينا؟ هل تحسين بالبرد حبيبتي؟

البرد؟ إنها تحس بالصقيع... فمشاعرها كلها مخدرة!

-قليلا!

فضمها بين ذراعيه بحيث أصبح وجهها فيصدره:

- دعيني أدفئك.

فدفعته عنها:

- ليس الليلة. ما زال الصداع يؤلم رأسي...و...و أنا...

– لا بأس سابينا لن أضايقك... سأضمك فقط الليلة...

حتى هذا لن تطيقه!

– أنا دافئة الآن... باتريك. سأنام في الجهة المقابلة من السرير. ربما سأصاب بالرشح.

تركها ببطء و تردد:

– ربما... أواثقة أنك لست متكدرة من شيء ما؟

– بالطبع لا ...لن يروق مزاجي لطلباتك كل ليلة باتريك!

فاستلقى على ظهره:

– لا... أظننا بدأنا نصل إلى لب الموضوع... أليس كذلك سابينا؟ و سأقبل بهذا لأنك لست على ما يرام. و لكن هذا لم يمنعك عني من قبل. فأنت الليلة لا تسمحين لي حتى باحتضانك... وتقولين إنك لا تشعرين بالرغبة. أأنت مريضة... أم مزاجك عكر؟

– إنه مزاجي!

–هذا ما ظننته... عمت مساءا!

أدار ظهره إليها... فاستلقت بائسة على الجانب الآخر من الفراش، و سرعان ما غط في النوم. لكنها لم تطق الابتعاد عنه، فاستدارت ثانية حتى أصبحت متكورة خلف ظهره، ذراعها حول خصره و رأسها مستريح على ظهره... فأطلقت تنهيدة إرتياح و سعادة ثم غفت بارتياح.

كانت وحدها في صباح اليوم التالي المبكر عندما إستيقظت، فأسرعت إلى غرفة فيليب فوجدتها فارغة كذلك. ثم وجدته مع باتريك

في غرفة الطعام... طغت عليها حمرة الحرج عندما نظرت إلى زوجها... فنظر إليها ببرودة... ينهي قهوته قبل أن يقف:

– كيف تشعرين هذا الصباح؟

– أفضل حالا...شكرا لك.

– لقد أطعمت فيليب... كنت نائمة عندما إستيقظت و لم أشأ أن أزعجك.

– شكرا لك... سأغسله الآن.

– تناولي فطورك أولا!

فردت بجفاء و إختصار:

– لا أريد

– أنت لم تتناولي العشاء ليلة أمس... قد تمرضين...

إصطبغ وجهها بالأحمر من الغضب هذه المرة. إذ لم تستطع أن تصدق أن تقارب الذي بنته خلال ثلاثة أشهر قد يتدمر بسبب جدال بسيط يتعلق بعدم السماح له باحتضانها بالأمس. أهذا زواجهما... مجرد صلات زوجية؟ فقالت متوترة:

–قلت لست جائعة... عن إذنك.

حملت الطفل و إبتعدت عنه، فأوقفها صوته:

- سابينا؟

- نعم؟

- هوني عليك اليوم، و إضبطي أعصابك...

هه؟

تلاشى غضبها بسرعة كم ثار... و إمتلأت بالحيرة... فهي تحب هذا الرجل رغم ما قالته روزي.

- أنا... أنا...حاضر!

إتجهت بسرعة إلى التفل. تنوي أن تشغل نفسها لئلا تفكر.

أمضت اليوم الأخير من عطلة والديها معهما بمرح. فهما سيسافران في اليوم التالي ظهرا... وسيصعب عليها فراقهما، و عليهما الافتراق عن حفيدهما.

قال لها خلال الأمسية بعد أن وضعت فيليب في فراشه.

– سنأخذ فيليب معنا إلى أمريكا في الصيف.

دهشت سابينا لهذه المعلومات. فهو لم يذكرها لها من قبل.

– إنها مفاجأة لكم جميعا... لقد فكرت في قضاء إجازة هناك في تموز.

نظرت إليه مبتسمة:

– سيكون هذا رائعا.

– هذا ما ظننته... شرط أن يستقبلنا فيل و سارة طوال المدة.

لقد أصبح و والديها أصدقاء بشكل غريب... و كان رد والدها إذ قال بحرارة:

– لك أن تبقى شهران يا ولدي. فأنا و سارة سنسر بكما.

– لا أستطيع التعطيل أكثر من شهر واحد... لكن في المرة القادمة قد نبقى وقتا اطول.

المرة القادمة! لقد ذكرها هذا أن زواجها به أمر دائم... و أنه زواج طبيعي تم باختيارها، و بارادتها! فقالت الأم:

– أهلا بكما متى شئتما... لقد أمضينا معكم وقتا رائعا هنا. و ستسرنا صحبتكم.

عندما والت لنا سابينا إنها ستتزوج من شقيق تشارلز... حسنا... نحن...

فأكمل باتريك:

– قلقتما... و هذا أمر طبيعي. أستطيع تفهمه... لعلكما بعد أن رأيتنا إقتنعتما أننا تزوجنا لأننا نريد بعضنا... و رأيتما أيضا أني لست ممن يضرب زوجته.

تألقت عينا الوالد و هو يمازح سابينا بقصد إزعاجها:

– عندما كانت صغيرة... كانت تستحق أكثر من الضرب... فقد كان لها طبع شرير!

فنظر باتريك ضاحكا:

– حقا؟

بدا والدها راضيا عن كشف سيرة طفولتها... و كان عليها أن نعاني من مهانة كشف كل مساوئ طفولتها... و كانت ضحكات باتريك خلال العشاء تتصاعد... و بدا في مطلق الأحوال أنهما عائلة سعيدة. و ما من أحد منهما يحس بما يعتمر نفس سابينا... قد

تتمكن من التظاهر ليوم... أو لأسبوع،لكن كيف فتتمكن من التظاهر ما تبقى من عمرها...؟

في غرفتهما... تقدم باتريك ليقف وراءها و هي تقف أمام المرأة تسرح شعرها إستعدادا للنوم... و لم تعد تستطيع فعل شيء سوى التحديق في إنعكاس صورته في المرأة:

–كيف تشعرين الليلة؟

–أنا...

صمتت لدى تصاعد صيحة صغيرة حادة من غرفة الطفل:

–فيليب!... إنه متكدر طوال اليوم.. سأذهب إليه!

لحق بها باتريك إلى غرفة الطفل الملحقة بغرفتيهما ليقف بالباب و سابينا تحمله... ثم سأل:

– مم يعاني يا ترى؟

– لقد طعم و لعله محرور.

–و هل هذا أمر طبيعي؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– طبعا! إنه لا يشكو من شيء أخر. لماذا لا تعود إلى غرفة النوم. سيكون بخير معي...

عد إلى فراشك!

–لكنه مريض...

– إنه محرور قليلا... أخبرتني الممرضة أنه قد يتعرض إلى هذا.

– حسنا... سأعود إلى الفراش... ما دمت واثقة من كل شيء!

أقفل الباب المشترك بعنف مفاجئ.

بقيت مع فيليب أكثر مما هو ضروري... مع أن فيليب سكن بعد دقائق من هدهدتها له لكنها أمهلت باتريك بعض الوقت لينام.

فجأة إنفتح باب الغرفة بعنف و وقف باتريك ليقول بخشونة:

– تعالي إلى الفراش سابينا... لن ألمسك!

– باتريك!

أمرها بمرارة قبل أن يستدير ليعود إلى الغرفة المظلمة:

– عودي إلى الفراش ... سابينا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فوقفت تدثر الطفل جيدا قبل أن تدخل غرفة النوم حيث كان زوجها مستلقيا على جنبه في الجهة المقابلة من السرير و ظهره إليها.

لم تر زوجها حتى الصباح فقد تناول الأربعة فطورهم معا. لم يذهب باتريك إلى العمل كي يتمكن من إيصال أبويها إلى الطار. و كانت هذه مبادرة لبقة، علمت سابينا أن والديها سيقدرانها له... و هذا يعني أنه سيكون معها ما تبقى من اليوم.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دخلت أمها غرفة الطفل لتساعدها في إلباس فيليب ثيابه للذهاب معهم... و قالت باكية:

– إنه يشبه كيم.

لكن... كل ما كانت تشاهده سابينا فيه شبهه لباتريك. حملت أمها الطفل بعد أن إنتهى من إرتداء الملابس.

– لقد تمتعنا حقا بالإقامة معكما. لقد جعلنا باتريك نحس أننا على الرحب و السعة هنا... و كم سرتنا سعادتكما معا. و يجب أن

أقول أبي و والدك أحسسنا بالقلق عندما قررتما الزواج. كنا نتساءل عما إذا كان الزواج لمصلحة فيليب فقط... إذ سيكون كارثة.

– صحيح!

–لكن الجميع يعرف الآن أنكما سعيدان، فنحن مسروران لك سابينا.

جلست سابينا في مؤخرة السيارة مع أمها و فيليب. و جلس والدها قرب باتريك... لكنها تجنبت لمسته عندما حاول مساعدتها في النزول من السيارة قرب المطار. فلمعت

عيناه غضبا قبل أن يستدير ليساعد والدها بإنزال الحقائب.

ما إن دخل والداها قسم الجمارك، حتى أجهشت باكية، و قبلت الراحة التي وفرتها لها ذراع باتريك حول كتفيها... إذ أحست فجأة أنها وحيدة... مهجورة، و كأن سفر والديها تركها في فراغ.

قال لها باتريك أثناء العودة:

– أتودين ترك فيليب برعاية مدبرة المنزل... لنخرج معا الليلة؟

-لا... لن أتركه الآن فهو ليس على ما يرام بعد.

- ظننتك منزعجة قليلا بعد سفر والديك... و فيليب بخير اليوم.

-حسنا... صحيح... سأمهله يوما بعد لأتأكد.

- ألا تريدين الانفراد بي.. لماذا... أوه... لا... بأس... ربما فهمت السبب.

- فهمت ماذا؟

فرد متجهما

-ليس الأمر مهما.

للمرة الأولى منذ زواجهما يمضي باتريك الأمسية كلها في مكتبته يعمل. كانت تعلم أن لا عمل يضطره إلى ملازمة مكتبه لكنه يحاول تجنبها، بل أنه لم يحاول ءن يلمسها و هما في الفراش جنبا إلى جنب. و لم ينكلم أي منهما، و لكنه كذلك لم ينم. و حاولت سابينا كبح دموعها. فلو بكت لطلب تفسيرا... لكن الدموع أبت البقاء وراء

السد. فهبطت بصمت على خيها لتبلل وسادتها.

-هذا كله سخيف لعين!

أجفلها إنفجاره الفجائيو جذبها إليه:

-لن أستطيع... سابينا أنت تبكين؟ حبيبتي ما الأمر؟ ماذا دهاك؟ ءخبريني ما الأمر لنحل المشكلة.

فهزت رأسها، و راحت تجهش بالبكاء منتحبة. فجذبها إليه فتعلقت به دون خجل:

- سابينا تكلمي... قولي ماذا فعلت لك؟

– لا شيء... لم تفعل أي شيئ.

– لماذا البكاء إذن؟ لقد تصرفت معك بشكل سيء في اليومين الأخيرين... لك مطلق الحق في الرفض، لكنني لا أستطيع الإستغناء عنك. أحتاج إليك طوال الوقت يا حبيبتي.

لم تعد تطيق أكثر... هل يتصورها كيم بين ذراعيه يا ترى؟ دفعته و دفنت وجهها بعيدا عنه.

– لا!

كانت صرختها صرخة حيوان جريح! و كان باتريك يتنفس بصعوبة و هو ينظر إليها:

– لا؟

هزت رأسها بصمت، و إنهمرت دموعها مجددا و هي تنظر إليه. ثم قالت بصوت مرتجف:

–باتريك... أظن من الأفضل أن أعود إلى أمريكا؟

فضاقت عيناه:

– هل إشتقت إلى موطنك؟ هل جعلتك زيارة أهلك تدركين إنك إشتقت إلى وطنك؟

– لا... فأنا أحب العيش في إنكلترا... لكن أظن أن علي الإبتعاد.

– لماذا؟ أظن...أنا... لن أستطيع... لن أستطيع...

– لن تستطيعي أن تحبيني أ هذا هو الأمر؟ إذن أنت لا تريدينني قربك؟

أبعد غطاء السرير، و بدأ يرتدي ملابسه... فأحست بالألم للإزدراء الذي بدا في صوته:

–باتريك...أنا...

– أتريدين هذا؟

– لا.

– يا إلهي! أنت أبرعِ مما ظننت في التمثيل... لقد مثلت دور المحبة المطيعة... الراغبة...

– لكنني كنت محبة راغبة.

– لكن كلمة كنت هي فعل ماضي.

حسنا... أنا لم أقع في فخك بعد كما تظنين. صحيح أريدك... و أريدك الآن أيضا لو رغبت... لكنني لن "أطلب" منك بعد

الآن... لن تجعليني "أتوسل" للحصول على جسدك! فصاحت و هو يفتح الباب: باتريك... إلى أين؟ سأخرج... لا أطيق البقاء قربك... فأنت عكس ما ظننت. لقد راقبت رجلا شريفا تسيطر عليه شهوته و تتلاعب به من أجل جسد إمرأة... و لن أقع في مثل هذا الفخ.

–باتريك...

– توقيتك خاطئ سابينا. ربما بعد عدة أشهر أخرى... ربما! كنت ستتلاعبين بي لأقع في الفخ... لكن ليس الآن.

فقفزت واقفة:

–باتريك لا تغادرني هكذا! فلنتحدث أولا... سأشرح لك...

– لن أهتم بما ستشرحين... لا أحتاج إلى الشرح.

– لكن لا يمكنك الخروج!

– و لماذا لا ... الساعة لم تبلغ الحادية عشرة... و أعرف نساء مستعدات لاستقبالي الليلة في فراشهن... تصبحين على خير سابينا....

10– بدأ الجد

لقد ذهب باتريك إلى إمرأة أخرى و هي من دفعته إليها...

لكن بالتأكيد لن يذهب؟ فذلك خيانة لكل ما تشاركا به... لكن ألم تخن هي برفضها وعد الحب الذي قطعته له، و الإتفاق الذي إتفقته معه؟ لو ذهب إلى إمرأة أخرى الليلة فالذنب ذنبها!

عرفت الآن أنها غبية... عرفت هذا لحظة خطا خارج باب الغرفة. لم يكن قط على علاقة مع كيم فهو أشرف من أن يفعل هذا. ربما وجدها جذابة، أو رغب فيها لأنها تشبه

شيقتها. لكنه ما كان ليعاشر زوجة أخيه... و فيليب ليس إبنه.

كان يجب أن تعرف أن هذا كذب و إفتراء مذ أن تفوهت به روزي فريستون فهي تعرف زوجها معرفة جيدة تجعلها تؤمن به و ها هو الآن قد ذهب إلى إمرأة أخرى، مقتنعا أنها لم تعد ترغب فيه. و أن كل ما أظهرته من حب لم يكن سوى لتوقعه في فخ جسدها. كما حدث لصديقه الذي يعرف قصته.

لم يعد إلى المنزل في الصباح... فألبست فيليب ثيابه... و قصدت بالسيارة منزل حماتها. إذ لن تسألها عبر الهاتف ما إذا كان باتريك قد أمضى ليلته هناك!

بعد نصف ساعة، لم تذكر ليزا باتريك و لما ذكرته سابينا أمامها لم تتلق منها سوى ردا عاديا... إذن هو لم يمض ليلته هنا!

– أتمانعين في الإعتناء بفيليب لفترة... سأتسوق قليلا... فهو ما زال محرورا.

فابتسمت ليزا:

– أنت تعلمين أنني أحب هذا. اتركيه عندي متى شئت.

قادت سابينا سيارتها إلى منزل روزي، و الغضب يغلي في داخلها إلى درجة الإحتراق... ما كان يجب أن تستمع إلى سم هذه المرأة... لكن هذا لا يعذر روزي لتقول ما قالته و ستضع بنفسها حدا لهذا الحقد المنتقم إلى الأبد.

بدت الدهشة على روزي عندما دخلت سابينا غرفة الاستقبال. فوقفت ببطء و قالت بلؤم:

-هل جئت لتودعيني؟

فردت سابينا نظراتها الئيمة بمثلها:

– لا!

– لا؟... إذن ليس لديك كرامة كما ظننت.

– تعنين أنني أعقل مما ظننت... لا أدري كيف أصغيت إليك، و لا أفهم ما ترغبين في تحقيقه... لكنني جئت لأقول لك في وجهك

إنك كذابة... شريرة... لئيمة... كاذبة حقودة!

لم يظهر علا المرأة الأخرى تأثرا يذكر، بل أجابت:

–أهذا ما قاله لك باتريك؟

– باتريك لم يذكر شيئا. لأنني لم أزعجه بأكاذيبك.

– إذن من الأفضل أن تفعلي.

– لماذا؟ حتى يحتقرني لأنني إستمعت إليك؟

فاحمر وجه روزي:

– إذا كانت هذه الحقيقة...

– تعرفين جيدا أنها ليست الحقيقة. باتريك رجل قاس، لكنه شريف... لا يمكن أن يكون قد لمس كيم.

–ألم يلمسها؟

– لا! سأقول لك هذا مرة واهدة روزي... و من الخير لك أن تصغي إلي... لا أريد أن تتكرر مثل هذه الأكاذيب القذرة على مسمع أحد، و إذا فعلت فستندمين!

فسخرت روزي:

– أتهددينني؟

– صدقي ما تريدينه! لكنني أتمنى من كل قلبي ألا يكوني قد دمرت زواجي من باتريك...

– و بما تهددينني؟

فقالت سابينا بصوت منخفض لكن خطير:

– أعتقد أن زوجك و طفلتيك يحبونك... فكري في ما سيفكرون لو علموا أنك حقود معقدة.

فضحكت روزي بحدة:

–اخرجي من هنا! اخرجي!

ردت سابينا بهدوء:

– سأخرج... لكن فكري في إنذاري... لا أفهم سبب رغبتك في تدمير حياة الأخرين و سعادتهم... لكن مرارة مثل مرارتك يجب كبحها و إلا ستدمر حياتك. فكري روزي... و حافظي على ثروتك،على زوجك و طفلتيك الجميلتين.

لم ترد روزي... لكن سابينا علمت من شحوب وجهها أن ما قالته بلغ هدفه... و

كل ما تأمله أن ينجح! فكراهية أمها كانت بسيطة غير معقدة... لكن مشاعر روزي عميقة مدمرة... و قد تحتاج إلى مساعدة طبيب نفسي!

لكن تشويه أمر أكاذيب روزي لم يساعدها على إيجاد مكان باتريك. و إعتقادها بأنه قضى ليلته مع إمرأة أخرى أخذ يتحول إلى يقين شيئا فشيئا.

توقفت في محلات فاشترت بعض الأغراض لفيليب ثم عادت إلى منزل حماتها و هي

متأكدة من أن ما حدث بينها و بين روزي لن يشاع بين الناس. إعتذرت من حماتها قبل أن تحمل يليب راجعة إلى المنزل. إستمرت في القيام بعملها الروتيني اليومي، تعتني بفيليب و تعطي تعليمات إلى مدبرة المنزل بشأن الطعام الذي سيعد خلال الأسبوع برمته. لكنها كانت دون وعي تتساءل ما إذا كانت ستتناول هذا الطعام.

إستلقت تستريح حين كان فيليب يأخذ قيلولته بعد الظهر. و لم تستيقظ إلا عصرا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فوجدت أنها ليست وحدها في غرفة النوم!

فقد إستطاعت في عتمة الغرفة المسدلة

الستائر أن ترى طيفا... إنه باتريك!

ناضلت كي تبعد عنها شبح النعاس فسألت

بصوت أجش:

– لقد عدت؟

فتحرك في الكرسي:

–أجل... فهذا منزلي... أتحبين أن أطلب من

السيدة كليفس بعض الشاي؟

جف لسانها لا بسبب العطش! بل لأنه عاد إلى منزله... لا تستطيع التصديق أنه هنا. و مع أنه ما زال بعيدا عنها، إلا أنه لم يعد غاضبا... و قالت:

–لا... شكرا لك... باتريك... علينا أن نتحدث...

– أقبل على أن يتم الآن فورا.

إذا كانت تعبة من قلة نوم الليل فتعبه يبدو أضعافا مضاعفة.

– أين الطفل؟ (سألته)

– إنه مع السيدة كليفس.

دنا منها وجلس على طرف السرير:

–غضبي يسول إلى نفسي أن أخنقك!

–أعلم... و أنا. أسفة.. لا عذر لما فعلته.

– لا عذر؟...

– لا عذر؟

– لا...لا أستطيع تفسير سبب تصرفي... فكل ما أيدك أن تعرفه أنني تجاوزت ذلك التوتر الآن... و إذا سامحتني... فأنا... أنا

أرغب في... أن أعود... زوجتك المطيعة ثانية.

ضاقت عيناه فأصبحتا كنقطتي جليد:

– لماذا لن تفسري؟ ألا أستحق التفسير؟

– يا إلهي بلى... لكنني لا أستطيع.

– لماذا؟

–لا أستطيع!

فلمعت عيناه بشكل خطير:

– أيثا البلهاء الحمقاء! كيف لك أن تحميها بعد أن سببت لنا هذا الضرر كله.

إتسعت عينا سابينا و هي ترى تعابير وجهه الشرسة.

-ما...ماذا تعني؟

فتنهد و قال بصراحة:

- زارتني روزي... و قصت علي كل ما أخبرتك به... كل شيء...

نهض عن السرير ليذرع الغرفة، فأنزلت ساقيها إلى الأرض لتجلس و تنظر إليه:

- روزي زارتك؟ كيف عرفت مكانك؟

– ليس هذا صعبا... فأنا عادة في مكتبي عند الساعة الثانية كل يوم أربعاء.

–مكتبك... لم أفكر في التفتيش عنك فيه.

– و لماذا تفتشين عني؟ كنت تريدين السفر، أتذكرين؟

– إسمع... أظن أن شقيقتك مريضة.

– عرفت هذا الأن. و قد عرفت هي كذلك...أشكر الله.

– عرفت؟

فتنهد:

– أجل... فهي لم تشأ زيارتي لمزيد من المتاعب سابينا بل لتحاول تصحيح غلطة خطيرة... مهما كان الذي قلته لها هذا الصباح، فقد أثر فيها و ردها إلى رشدها... و ستسعى إلى المعالجة النفسية.

–لكن لماذا هي هكذا؟

– ليست وحدها المسؤولة عما غي عليه... كلنا نلام. منذ سنء و نصف خسرت طفلا... كانت تعمل كعادتها دون ءن تستريح و لم تعرف بحملها إلا بعد فوات

الأوان فكان أن خسرت صبيا بعد ثلاثة أشهر من الحمل.

ملأت الدموع عيني سابينا و هي تتصور العذاب الذي مرت به المسكينة. ولم يلاحظ باتريك دموعها إلى أن قالت:

– مسكينة روزي!

– أجل... و أظنها عندما ماتت كيم، و أصبحتؤنت أما لفيليب كرهتك لأن كيم كانت حاملا لك.

– و هل ستكون على م يرام؟

- أجل بالمعالجة النفسية و ببعض العطف من عائلتها... و الآن نأتي على ذكر الكذبة التي إختلقتها عني و عن كيم.

- كنت غبية... عرفت هذا عندما تركت المنزل بالأمس! كم زوجة أخيك!

-لكنها لم تكن سعييدة.

- ليس إلى هذا الحد، رغم المعاملة التي عاملتها إياها أمك.

- كان الأمر واضحا بالنسبة لي! لقد كان تشارلز إبن أمي المدلل و تعتبر أن ما من

إمرأة تصلح أن تكون له لذلك لم تنظر إلى حبهما العميق.

– إذن لم يكن حملها بفيليب وسيلة للحفاظ على زواجها.

– هذا شيء أخر إستنتجه أعضاء عائلتي الفاتنة. لكن ماذا أحسست نحوه عندما ظننتني أباه؟

– أحببته كالعادة.

– و أنا...؟ ماذا كان شعورك نحوي؟

الصدق... عليها أن تعطيه الصدق.

– لقد كرهت التفكير في علاقتك بكيم و كرهتك لأنني إعتقدتك تعتبرني بديلا عنها.

–يا إلهي؟ أوصل بك التفكير إلى هذا الحد؟

– أجل... و لقد مزقتني هذه الأفكار... أعلم أنك لا تحبني... و لكنني أعتقد أن ما بيننا هو لي... و ليس... أوه ما أشد غبائي!

–و ماذا بيننا سابينا؟ مجرد علاقة زوجية جيدة؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– نعم علاقة زوجية... و حبي لك، أحبك باتريك... حتى قبل أن أتزوجك... أحببتكمنذ اليوم الأول.

بدا للحظات أنه يرفض النظر إليها... كان غارقا في تفكير عميق. ثم تنهد عميقا:

– صراحتك أذهلتني دائما... فهذا شيء لم أعتده من إمرأة.

–لكنني لم أستخدم جسدي لإبتزك... أما المرأة الأخرى...

– إنها أمي... لقد راقبتها تسيطر و تتحكم بأبي منذ أن بدأت أفهم الحياة... يا إلهي ما هي هذه العائلة التي تزوجت منها أنت و كيم! فأمي... كانت تستخدم جسدها لتسيطر على زوجها. و شقيقتي متقوقعة في خوف داخلي و شقيقي لم يكبر يوما، و... المسخ خال من العواطف... أقصد به ذاتي.

–باتريك!

إذن تستنتج مما قاله أن لا إمرأة أخرى في حياته، و أن الصديق الذي تكلم عنه هو أبوه!

– أوه... هذه هي الحقيقة سابينا...أمي أنجبت أولادها تدريجيا... على دفعات كل أربع سنوات، و كان أبي يعبد الأرض التي تسير فوقها، فاستغلته لتسيطر عليه!

–ربما كانت تحبه باتريك، لقد أمضت زمنا و هي أرملة...

– عشرين سنة. أنت على حق... لقد أحبته، بطريقتها لكنه حب لدمر. لا أريده لنفسي... عندما تزوجنا و منحتني نفسك كاملة طاهرة، عرفت أنك تحبينني. و خفت من ذلك الحب، و ما قد يفعله بي.

– باتريك!

فاستدار إليها مبتسما:

– أنت لم تسمعي بعد لماذا كرهتك. جعلتني معرفتي بك و بمشاعرك أختبر مشاعري نحوك، و لم يعجبني ما إكتشفت. أظن أن

الأمر بدأ يوم جئت إلى إنكلترا. يومذاك أبديت قلقا لأنك رأيتي مدى تعبي! و طلبت مني الراحة. و كان الجميع يؤمن أنني قادر على الاستمرار إلى الأبد دون توقف. و كانوا يعتقدون أنني غير متأثر بما حدث لشقيقي و زوجته. أنت وحدك شاهدت تأثري... قبل أن يسافرا حدث شجار في العائلة... كيم كانت تزداد تعاسة، و هو لا يملك الإرادة على التحرر من تحكم العائلة به... فتدخلت و كلفته بإدارة فرع الشركة في

أمريكا، لذا سارفا لكن إلا غير رجعة. و عندما إكتشفت أمي أمر سفرهما غضبت غضبا شديدا...

– لكنني واثقة أنهما كانا سعيدين بالسفر.

– أنا واثق كذلك. و مع ذلك لم أستطع التغلب على الشعور بالذنب. ربما لو لم أمره بإدارة فرع الشركة في أمريكا لما سافرا... و لكانا الآن على قيد الحياة. ثم عدت هنا. و لم أستطع منع رغبتي فيك. و قلت لنفسي إنها مجرد رغبة. لكن بدل أن أقيم علاقة

معك، طلبتل للزواج دون أن أدري السبب. أردتك و لم أكن مضطرا حتى للاعتراف. ثم بعد زواجنا لم أجد سببا كذلك للاعتراف بأي نوع من الالتزام العاطفي. لكن عندما إنقلبت ضدي منذ ثلاثة أيام... لم أعرف ماذا أفعل. لم أفهم... و لم أستطع التوقف عن الرغبة فيك... ففضلت الخروج من المنزل.

–و أين ذهبت؟

أمضيت ليلتي في مكتبي على الأريكة التي أمضيت ليلتي فيها عندما عدنا من شهر العسل. كنت خائفا من فقدك!

فوقفت سابينا تركض نحوه، و تلف ذراعيها حول عنقه، و تضغط رأسها على صدره.

– لن تفقدني... لست بحاجة لقول شيء... لست بحاجة إلى كلمات... بإمكانيئن أقول عنا معا... أحبك باتريك... أحبك كثيرا.

أطبقت ذراعاه حولها:

– لكنك تستحقين الكلمات.

– لا أحتاجها بل أحتاجك أنت.

– و أنا كذلك... فبدونك أظنني قد أموت!

في الفراش تفوه باتريك أكثر من مرة بالكلمة التي طالما تاقت إليها منه و قد رددها إلى أن غرقا في الحب.

بعد ساعتين قالت له:

– باتريك. لدي شيء أعترفبه إليك.

– إعترفي!

– عندما قالت روزي... ما قالته... كنت في ظروف مميزة... لذا صدقتها.

– ظروف خاصة؟

– هه! كنت في الأونة الأخيرة... حساسة و متوترة... و...

–متوترة...؟

– حسنا هناك سبب لهذا! فلدي شيء كنت سأذكره أمام الجميع في حفلة عمادة فيليب... لكن روزي أفسدته بكذبها. شيء كنت ستشارك الجميع به.

– لكنني شاركت الجميع بالكاتو الذي حضرته.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– باتريك كن جادا!

– حسنا... لكنني سأقول لك مرة أخرى إنني أحببتك أولا.

– لا تتوقف عن هذا... إسمعني باتريك. أنا... أنا...

– حسنا إنطقي يا إمرأة، فلدي ثلاثة ليال من الحرمان أرسي التعويض عنها.

– حسنا إفعل هذا الآن، فبعد بضعة أشهر سأصبح سمينة فتعز عندها عن الاقتراب مني!

فغر بارتيك فاه و أخذ ينقل نظره من وجهها إلى معدتها التي ما زالت ملساء...

فضحكت:

– لا تظهر معالمه بعد. لكن بعد شهر أو شهرين حينها ستكون إبنتك قد بدأت تركلني كلاعب كرة.

–إسمها كرة القدم... ندعوها كرة القدم.

فزفرت بغضب:

– أهذا كل ما عندك لتقوله بشأن طفلتك؟

– و كيف تعرفين أنها ستكون طفلة؟

فنظرت إليه متعالية:

– لأنني قررت هذا. فصبي أخر يرجح كفة الرجال في عائلة كيندل فنصبح ثلاثة ذكور و إمرأة واحدة. و هذا غير عادل.

–لكنك قادرة على مواجهة جيش كامل منا... بحبك و إخلاصك.

–كيف تشعر حقا بشأن الطفل؟

– بدأت أحبه. كما أحبك... و أحب العالم كله.

– أعلم... لكن ستضطر لكبح جماح حبك.

– أيتها الخليعة.

– أيها المجنون الخليع...

– لا أنا مجنون الحب... أحبك كثيرا سابينا... و لا أردي إلا الإعتناء بك و بأولادنا... ثم أن فيليب سيحتج إلى أكثر من شقيقة واحدة ليفسدها دلالا.

– سيكون له ذلك بكل تأكيد...

و توقفا عن المزاح ليبدأ الجد!

مكتبة رواية

www.riwaya.ga

قناة روايات عبير على تيليجرام

https://t.me/aabiirr

تمت

www.riwaya.ga مكتبة رواية